مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (8) العدد (3) 2024
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies –Arts and Humanities Series Vol. (8) No. (3) 2024

أثرُ التّركيبِ النّحوي في البنيات الأسلوبيّة
دراسةٌ نحويّةٌ أسلوبيّةٌ
في نماذج من شعرِ (الكميت بن زيد الأسدي)

أ. د ماهر عيسى حبيب*

د. رائد منصور **

ميلاد هيثم جبور***

(تاريخ الإيداع 11/21 /2023. قُبِل للنشر في 3/4 /2024)

□ ملخّص □

يتساءلُ القارئُ لكلِّ نصٍّ كيف انساقتِ الكلماتُ يتبعُ بعضها بعضاً في التّوارِدِ خِلفةً بسلكٍ غير مرئي فيما يُوسَمُ بالتركيبِ، وكيف تتماهى بإزاءِ بعضها في جملٍ فلا تكاد تتناهى؟ فإذا بالتركيب سببٌ للانبهار، وإذا بالنظم مكمنٌ للإبداع، وإذا بالبيان ضربٌ من السّحر، ثمَّ ترى الناس بعد ذلك يتفاضلون، فهذا الكاتبُ أشدُّ بلاغةً من ذاك، وهذا الشاعرُ أكثر فصاحةً من ذاك، وموردهما اللغوي واحد، كما أنّ معجمهما الشعري واحد، وانطلاقاً من ذلك يدرسُ هذا البحث التّركيبَ النّحويّ من وجهةِ نظرٍ نحويّة أسلوبيّة، وذلك من خلالِ دراسةِ تركيبِ الجملةِ الاسميّةِ في ديوانِ الكميت بن زيد الأسدي ومدى موافقتِها ومخالفتِها للقواعدِ النّحويّةِ، للوصولِ إلى البنيةِ الأسلوبيّةِ العميقةِ لهذا التّركيبِ، هذه البنيةُ التي يحقّقُها تعلّقُ الألفاظِ بعضها ببعض، ومن هنا نبيّنُ ما نعنيه بقولنا: (الأثرُ في البنياتِ الأسلوبيّةِ)، فهو التّناسبُ مع الموقفِ أو المقامِ أو السّياقِ، وبعبارةٍ أخرى هو (وضعُ الكلامِ موافقاً لمُقتضى الحالِ) .

الكلمات المفتاحية: التّركيب النحوي، البنيات، الأسلوبية، الكميت بن زيد الأسدي .

* أ. د ماهر عيسى حبيب: أستاذ في قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة طرطوس .
* *د. رائد منصور: مُدرّس في قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة طرطوس .
*** ميلاد هيثم جبور - قسم اللغة العربية - كلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة طرطوس .

مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (8) العدد (3) 2024
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies –Arts and Humanities Series Vol. (8) No. (3) 2024

The effect of grammatical structure on stylistic structures A grammatical and stylistic study in models Of (Al-Kumait bin Zeid Al-Asadi) poetry

* Dr. Maher Issa Habib
**Dr. Raed Mansour
*** Milad Haitham Jabbour

(Received 21/11 /2023. 4 /3/2024)

□ ABSTRACT□

The reader wonders for each text how the words followed each other in import behind an invisible wire in what is termed installation, and how can these bricks struggle to hug and harmonize? And how do you shade some in a sentence that hardly ends? If the installation is a cause for fascination, if the systems are empathetic, and if the statement is a strike of magic, And then you see people coming together. This writer is a lot tougher than that. And this poet is more eloquent than that, and their linguistic resource is one, and their poetry lexicon is one, From this, this research examines the grammatical composition from a stylistic point of view, through the study of the composition of the nominal sentence in the Kumait Ben Zeid Al-asadi Diary and the extent to which it agrees and contravenes the grammatical rules, to reach the stylistic structure of this deep tunnel: (The effect on stylistic buildings), it is proportionality to attitude, place or context, and in other words it is (placing speech in accordance with the requirement of the case)

Keywords: grammatical composition, structures, stylistic, AL-Kumait Ben Zeid Al-assadi.

*Dr. Maher Issa Habib: Professor in the Department of Arabic Language, Faculty of Arts and Humanities, University of Tartous

** Dr. Raed Mansour: Teacher in the Department of Arabic Language, Faculty of Arts and Humanities, University of Tartous

***Milad Haitham Jabbour, Department of Arabic, Faculty of Arts and Humanities, University of Tartous

مقدمة:

اللغةُ مظهرٌ من مظاهر حيويّة الإنسان، وبروز سرٍّ من أسراره الذي هو المعنى الذي يكتنِفهُ في حياته، وليس من طريقةٍ مُثلى لفهمِ أسرارِ هذه اللغة إلّا أن يُنعمَ الإنسانُ النظرَ فيها بوصفها مظهراً عقلياً، يتحقّقُ في كيفياتِ الأبنيةِ التّركيبيّةِ اللّغويّةِ بشقّيها الاسميّ والفعليّ .

أهميّةُ البحثِ:

تنبعُ أهميّةُ البحث في محاولتِهِ الوصلَ بين النّحوِ والمعنى، فبينهما صلةٌ وأسبابٌ، ومسألة تصوّرِ النّحوِ العربيّ للمعنى في حاجةٍ إلى دراساتٍ كثيرةٍ متفرّقةٍ في الفلسفة واللّغة وفروعٍ أخرى كثيرة من الثقافة العربية، فهذه المسألةُ التي نجدُ أساسها عند النحاة القدماء من جهةٍ وعند البلاغيين الذين تبنّوا قسماً منها من جهةٍ أخرى هي قمةُ ما يجبُ أن يصلَ إليهِ النّحو العربيّ، ومن هذا المنطلق سينطلقُ بحثُنا في محاولةِ الوصول إلى البنية الأسلوبيّة العميقة التي يُحقّقُها تعلّقُ الألفاظِ بعضِها ببعض .

منهجيّةُ البحث:

يقتضي عرضُ المفاهيم النّظريّة وتحليلها انتهاجَ المنهجِ الوصفي، كما اقتضى التّحليلُ التّركيبيّ للجمل وتحديد بنياتها المنهجَ نفسَه، فكانَ الوصفُ والتّحليلُ أداتين إجرائيّتين يستفيد البحث منهما في الجانبين النّظريّ والتّطبيقيّ .

أهداف البحث:

-محاولةُ اكتناهِ الجوانبِ الأسلوبيّةِ وأثر التّراكيبِ النّحويّةِ فيها، لاقتحامِ فضاءِ الشّاعر الشعريّ، وجلاءِ الغموضِ الذي ما زالَ يكتنفُ نتاجه الشعريّ .

-دراسةُ أثر التّركيبِ النّحويّ من وجهةِ نظرٍ أسلوبيّةٍ .

-محاولة تطبيق هذا الدّرسِ الأسلوبيّ على القواعد النّحويّة لبيانِ مواطن الجمال والإبداعِ فيها، وتفسيرها وفق معايير جديدةٍ تختلفُ عن الدّراساتِ النّحويّة التّقليديّة المألوفة التي تعمل على إهمال قيمة النّصّ ومحتواه ودلالاته المختلفة .

أوّلاً: مفهومُ التّركيبِ النّحويّ:

1- التّركيبُ لغةً: التّركيبُ هو جمعُ شيءٍ إلى آخرَ وضمّهِ إليه[1]، والتّركيبُ مصدرُ الفعلِ الثّلاثي المزيدِ بالتّضعيفِ (ركّبَ)، "وركّبَ الشيءَ: وضعَ بعضَه على بعضٍ وضمَّه إلى غيرِه"[2]، "والتّركيبُ انضمامُ كلمةٍ إلى أُخرى (....) أي مجموعةُ كلماتٍ مترابطةٍ في معنىً تامٍّ"[3].

2- التّركيبُ اصطلاحاً: حُدِّدَ التّركيبُ في الاصطلاحِ النّحويّ بأنّه: "ضمُّ كلمةٍ فأكثر إلى كلمةٍ أخرى، فضمُّ إحدى الكلمتين إلى الأخرى تركيبٌ"[4]، والتّركيبُ عندَ النّحاةِ مقابلٌ للإفرادِ، فإن كانَ بينَ اللّفظينِ إسنادٌ كان التّركيبُ إسناديّاً، وإن كانَ أحدُهما مضافاً والآخرُ مضافاً إليه، كانَ التّركيبُ إضافيّاً، وإن كان أحدهما موصوفاً والآخرُ صفةً كانَ التّركيبُ وصفيّاً، فاللّغويّونَ يُدرِجون هذا المعنى _ التّركيب_ في باب المُسندِ والمُسندِ إليه، ويرى

[1] الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية : الجواهري (اسماعيل بن حماد)، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٧٩، ١٣٨/١

[2] المعجم الوسيط، مادة (ركب)

[3] معجم لغة النحو العربي : أنطوان الدحداح ، بيروت ، مكتبة لبنان ، ناشرون ، ط٣ ، ٢٠٠١ ، ص٢٨٤

[4] شرح كتاب الحدود في النحو: عبد الله بن أحمد الفاكهي (ت-972هـ)، تحقيق: د. المتولي رمضان، مكتبة وهبة، ط2، القاهرة، مصر، 1993م، ص76

سيبويه (ت180هـ) في كتابِه أنّ: "المُسندَ والمُسندَ إليه هما ما لا يستغني أحدُهما عن الآخرِ"[5]، وبهذا يصبحانِ كأنّهما لفظٌ واحدٌ، وبذلك يكونُ سيبويه قد حدّدَ البنيةَ الأساسَ للتّركيبِ النّحويّ التي تتكوّنُ من المبتدأ والخبر من مثلِ: (زيدٌ أخوك)، أو من الفعلِ والفاعلِ من مثلِ: (يذهبُ زيدٌ)، حينَ أشارَ إلى أنَّ التّركيبَ الإسناديّ يتألّفُ من عنصرينِ بينَهُما علاقةُ إسنادٍ، ولا يمكنُ لأحدِهما أن يقومَ بالمعنى دونَ وجودِ الآخرِ.

فالتّركيبُ الإسناديُّ وانطلاقاً من تمامِ فائدتِه يختلفُ عن التّركيبِ الذي لا يحسُنُ السّكوتُ عليهِ كتراكيبِ الصّفةِ والموصوفِ، والمضافِ والمضافِ إليه، والجارِ والمجرور، والصّلةِ والموصول، فهذه التّراكيبُ وإنْ اشتملَتْ على معنىً زائدٍ على معنى المفرد إلّا أنّها ذاتِ مدلولٍ تركيبيٍّ ناقصِ الفائدةِ ولا يحسُنُ السّكوتُ عليها، وذلك نحوَ قولِنا: (الموكبُ القادمُ) فإنّ للتركيبِ معنىً زائداً على معنى (الموكب والقدوم)، ولكنّه لا يحقّقُ الفائدةَ التي تحصلُ بقولِنا: (الموكبُ قادمٌ)، فإسنادُ (القدوم) إلى (الموكب) وربطِه به هو ما أسمّوه بـ(تمامِ الفائدة) أوبـ(المعنى التّام).[6]

وتجدرُ الإشارةُ إلى أنَّ التَّركيبَ اصطلاحاً يعني انتقالَ العقلِ بوساطةِ تعلّقِ الوحداتِ اللّغويةِ من المعاني والقضايا البسيطةِ إلى المعاني والقضايا المُركّبة، بحيث ينظرُ العقلُ إلى تلك الوحداتِ اللّغويّةِ ويضعُها في ترتيبٍ خاصٍّ يُنتجُ مركّباً مفيداً، أو بعبارةٍ أُخرى هو الانتقالُ من الأجزاءِ إلى الكلِّ الذي تحصلُ به الفائدةُ، والذي يحملُ معنىً لا تحمِلُهُ الأجزاءُ مفردةً .

وخلاصةُ القولِ: تعدّدتِ المعاني الاصطلاحيّةُ للتّركيبِ بينَ العلماءِ على اختلافِ مشاربِهم وتخصُّصاتِهم، فتقاربت التّعريفاتُ أو تباينتْ بين علماءِ اللّغةِ ، ولكلٍّ منهم مفهومُه الخاصُّ عن التّركيبِ، ولكنّ غالبيةَ تلكَ التّعريفاتِ قد أجمعَتْ بشكلٍ أو بآخر على أنّ التّركيبَ يقومُ على ثنائيّةٍ من الألفاظِ على أقلّ تقديرٍ، و تجتمعُ تلكَ الألفاظُ مع بعضِها البعضِ على طريقةِ بناءِ الشّيءِ وإقامتِه، لتحقّقَ من خلالِ اجتماعِها فائدةً تامّةً يحسنُ السّكوتُ عليها، ولتعزّزَ قدرةَ اللّغةِ وتمكّنُها من أداءِ وظيفتِها الأساسيّةِ المُتمثّلةِ في الوظيفةِ التّواصليّةِ.

3- التّركيبُ والدّلالة:

تُعَدُّ اللّغةُ شبكةً من العلاقاتِ التّركيبيّةِ على المستوى الصّوتيّ في تأليفِ الأصواتِ، وعلى المستوى الصّرفيّ في الوحداتِ الصّرفيّة، وعلى المستوى التّركيبيّ في تأليفِ الكلمات، ويُمثّلُ المستوى التّركيبيّ الحجرَ الأساسَ لمسألةِ النَّظمِ في اللّغةِ العربيّة، وتقومُ مسألةُ النّظمِ في أساسِها على اختيارِ تراكيبَ متتابعةٍ خادمةٍ للمعنى على الرّغمِ من أنّ القاعدةَ النّحويّةَ قد تُبيحُ أمراً آخرَ صحيحاً في هذا المقام، وبناءً على هذا الاختيارِ يصبحُ التّركيبُ بليغاً وفقاً لتركيبٍ آخرَ يسبِقُه وآخرَ يعقِبُه، في نظامٍ يعملُ على تطويعِ اللّغةِ في النّصوصِ الشّعريّة من خلالِ تلك التّراكيبِ المُتطابِقة .

هذا الأمرُ لم يَغِبْ عن أذهانِ بعضِ النّحويّين والبلاغيّين القدماء، فقد وعَى هؤلاءِ القصدَ من دلالةِ التّركيبِ وفصّلوا القولَ فيه، ولعلَّ من بواكيرِ الحديثِ عن هذا الأمرِ ما وردَ في كتابِ سيبويه تحتَ عنوان: (باب الاستقامة في الكلام والإحالة)، فقد تنبَّه سيبويه بحسّه الجماليّ إلى أنَّ الدّلالةَ تتبعُ من التّركيبِ والنّظمِ، وذلك حينَ قسّمَ الكلامَ إلى: "مستقيمٌ حسنٌ ، ومُحالٌ، ومستقيمٌ كذبٌ، ومستقيمٌ قبيحٌ، وما هو مُحالٌ كذبٌ"[7] ، ثمّ فسّر ذلك فقال: "فأمّا المستقيم الحسن فقولك: أتيتُك أمس، وسآتيك غداً"، وهذا كما قالَ؛ لأنّ ظاهرَه مستقيمُ اللّفظِ، والإعرابُ غيرُ دالٍّ على كذِبِ قائلِه، وكذلك كلُّ كلامٍ تكلَّمَ بهِ متكلّمٌ، فأمكنَ أن يكونَ على ما قالَ، ولم يكُنْ في لفظِه خَللٌ من جهةِ اللّغةِ

[5] الكتاب: سيبويه، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ج١، ط٦، عالم الكتب، بيروت، ١٩٦٦م،ص٢٣

[6] يُنظر: البحث النحوي عند الأصوليين: د. مصطفى جمال الدين، وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1980م، ص244

[7] الكتاب: سيبويه، مصدر سابق، ج١، ص٢٥

والنّحوِ، فهو كلامٌ مستقيمٌ في الظاهرِ، وقد تبيّنَ في مثلِ هذا أنَّ قائلَه كاذبٌ فيما قالَه، فتحكمُ على كلامِه أنّه كذبٌ غيرُ مستقيمٍ من حيثُ كانَ كذباً، إلّا أنّه مستقيمُ اللّفظِ...غيرَ أنّ الذي استعملَه سيبويه في المستقيم، أن يكونَ مستقيمَ اللّفظِ والإعرابِ فقط، وعَنَى بالمستقيمِ اللّفظِ والإعرابِ أن يكونَ جائزاً في كلامِ العربِ، دونَ أن يكونَ مُختاراً"[8]، ثمّ يُكمل كلامه : "أمّا المُحالُ فأن تنقضَ أوّلَ كلامِك بآخرِه فتقولُ: "أتيتُكَ غداً وسآتيكَ أمسِ، والمستقيمُ الكذبُ كقولِك: "حملتُ الجبلَ" و "شربتُ ماءَ البحرِ" ، والمستقيمُ القبيحُ أن تضعَ اللّفظَ في غيرِ موضعِه نحوَ قولِك: "قد زيداً رأيتُ وكي زيداً يأتيكَ، وأمّا المُحالُ الكذبُ فأن تقولَ: سوف أشربُ ماءَ البحرَ أمسِ"[9]

وما قصدَه سيبويه من الكلامِ الحسنِ المستقيمِ هو ما كانَ مستقيماً استقامةً نحويّةً دلاليّةً، فالاستقامةُ النّحويةُ تتوزّعُ على أشكالٍ ثلاثة هي: المستقيمُ الحسنُ، والمستقيمُ الكذِبُ، والمستقيمُ القبيحُ، فما كانَ صحيحاً نحويّاً يُعَدُّ مستقيماً، أمّا الحُكمَ على هذهِ الاستقامةِ بالحُسنِ أو الكذبِ فيتعلّقُ بالمعنى الذي تُفيده عناصرَ الجملةِ عندما تترابطُ نحويّاً .[10]

ويبدو أنَّ سيبويه يعتمدُ في هذه التّقسيماتِ على مزاوجةٍ صريحةٍ بين الوجهين الدّلاليّ والنّحويّ، وهو يُومِئ بإشارةٍ واضحةٍ إلى أنّ معاييرَ الصّوابِ والخطأ تتحدّدُ بالاحتكامِ للدلالةِ والنّحوِ معاً، فقوله: (قد رأيْتُ زيداً ، كي زيداً يأتيْكَ)، تراكيبٌ مستقيمةٌ لكونِها لم تشتملْ على نقصٍ في الدّلالة ويحسُنُ السّكوتُ عليها، إلّا أنّ تموضعَ الألفاظ المُخِلَّ نحويّاً في هذهِ التّراكيبِ، هو ما دفعَ سيبويه إلى وصفِه بالقبيحِ، وانطلاقاً من هذا نجدُ أنّ المستقيمَ هنا هو مستقيمٌ دلاليّاً ، وقبيحٌ نحويّاً، فالخللُ هنا خللٌ لفظيٌّ لا معنويٌّ .

وربّما أشارَ ابنُ قتيبة (ت٢٧٦هـ) إلى الأمرِ نفسِه حين قرأَ الشّعرَ من خلالِ دلالة التّركيبِ والمقامِ الذي قِيلَ فيه، فرأى أنّ جودةَ الشّعرِ أو رداءتَه إنّما مردُّهما إلى سياقِ المقام الذي تضمّنَتْه دلالةُ التّركيبِ، فوجدَ الشّعرَ أربعةَ أضرُبٍ: "ضَرْبٌ حَسُنَ لفظُه وجادَ معناه، وضربٌ حَسُنَ لفظُه وحَلا، وضربٌ جادَ معناه وقَصُرَتْ ألفاظُه، وضربٌ تأخّرَ معناه وتأخَّرَ لفظُه"[11]، فهذه التّقسيمات الّتي أوردَها ابنُ قتيبةَ وابنُ هشامٍ وسيبويه من قبلِهما، إنّما تقومُ على نظامِ تموضعِ الألفاظِ، ونوعِ التّرابطِ والانفصالِ بينها، وكيفيّة تعانقِها مع بعضِها البعض لتتّفقَ مع المعنى، أمّا ابنُ جنّي فقد اعتنَى بقضيّةِ اللّفظِ والمعنى عنايةً كبيرةً، فهو يُفرِدُ باباً تحتَ عنوانِ (الردّ على من ادَّعى على العربِ عنايتَها بالألفاظِ وإغفالَها المعاني)، ويقول فيه: "وذلك أنَّ العربَ كما تُعنَى بألفاظِها فتُصلِحُها وتُهذّبُها وتراعِيها، وتلاحظُ أحكامَها، بالشّعرِ تارةً، وبالخُطَبِ أُخرى وبالأسجاعِ التي تلتزمُها، وتتكلَّفُ استمرارَها، فإنّ المعاني أقوى عندَها، وأكرمُ عليها، وأفخمُ قدراً في نفوسِها"[12]

وانطلاقاً ممّا سبقَ نجدُ أنّ نحاتنا القدماء قد مهّدوا الطريقَ لما سُمِّيَ بـ (نظريّة النّظمِ) عندَ عبدِ القاهرِ الجُرجانيّ في كتابِه (دلائلُ الإعجازِ في علمِ المعاني)، التي وإن لم نعثرْ على تصريحٍ مباشرٍ بتسميةِ أركانِها في كتابِه، إلّا أنّ الواقفَ على مضامينِه تظهرُ أمامَه معالِمُها بوضوحٍ، فجهودُهم _ النّحاةُ القدماءُ_ كانت مَعيناً ثرّاً وأساساً مكّن الجُرجانيّ من بناءِ نظريّتِه اللّغويّة في تفسيرِ التّراكيبِ .

---

[8] شرح كتاب سيبويه: أبو سعيد السيرافي (الحسن بن عبد الله بن المرزبان)، تح: أحمد حسن مهدلي، علي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٨م، ج١، ص١٨٦

[9] الكتاب: سيبويه، مصدر سابق،، ج1، ص25-26

[10] يُنظر: النحو والدلالة "مدخل لدراسة المعنى النحوي – الدلالي"، محمد حماسة عبد اللطيف، دار الشروق، القاهرة، مصر، 2000م، ص61-62

[11] يُنظر: الشعر والشعراء: ابن قتيبة (أبو محمد بن عبد الله بن مسلم)، تحقيق: د. مفيد قمحة، دار الكتب العلميّة، ط٢، ١٩٨٥م، ص٢١

[12] الخصائص: ابن جنّي (أبو الفتح عثمان بن جنّي)، تح: محمد علي النجار، دار الهدى، بيروت، ط2، 1955م، ٢١٥/١

وعطفاً على كلامِ ابنِ جنّي المذكورِ آنِفاً، تجدرُ الإشارةُ إلى أنَّ الجُرجانيّ أدركَ في مُستهلِّ حديثِه عن النّظمِ أنّه لا يُعنَى باللّفظِ المفردِ، وإنّما هو ضمُّ الكلماتِ بعضها إلى بعضٍ، على طريقةٍ فيها ابتكارٌ ومناسبةٌ ومواءمةٌ للمقامِ الذي قِيلَتْ فيه، فقالَ في بيانِ معنى النّظمِ (التّركيب): "لو كانَ القصدُ بالنّظمِ إلى اللّفظِ نفسِه دونَ أن يكونَ الغرضُ ترتيبَ المعاني في النّفسِ، ثمّ النُّطقُ بالألفاظِ على حذوِها، لكانَ ينبغي ألّا يختلفَ حالُ اثنين في العِلم بحُسْنِ النّظمِ، أو غيرِ الحُسْنِ فيه"[13]، فالنّظمُ عندَه إنّما هو في المعاني، وليسَ في الألفاظ، فالألفاظُ "لا تتفاضلُ من حيثُ هي ألفاظٌ مُجرّدةٌ، ولا من حيثُ هي كَلِمٌ مفردةٌ"[14]

فالمعنى النّفسي هو الرّكنُ الأساسُ لنظريّةِ النَّظمِ عندَ عبدِ القاهرِ في كتابه، بل إنَّ عبدَ القاهرِ قد بنى على هذه الفكرةِ الرُّكنَ الأوّلَ من أركانِ نظريّتِه في النَّظمِ، وهو ما أسمَاهُ (ترتيبَ المعاني في النّفسِ ثمّ النُّطقِ بالألفاظِ على حذوِها)[15]، فعمليةُ ترتيبِ المعاني في النّفسِ كما أوردَها هي المرحلةُ الأولى من مراحلِ إنتاجِ الكلام، فـ "عبدُ القاهرِ يرى أنّ المقصودَ بالنّظمِ إنّما هو نظمُ المعاني النّحويّةِ في النّفسِ ... ومعنى النّظمِ أن يعمدَ المتكلّمُ إلى اختيارِ ما يناسبُ غرضَه من هذه المعاني إذ يوردُها على خاطرِه قبلَ أن يبنيَ لها الكلماتِ"[16].

وتعقيباً على الكلامِ السّابقِ تجدرُ بنا الإشارةُ إلى أنّ الجُرجانيّ لم يقصدْ بالمعاني النّفسيّةِ المعنى الذي هو مُخالفٌ للفظِ، أو المعنى المُعجميّ للفظِ المفردِ، وإنّما قصدَ بها المعاني النَّحويّةِ التي يتمُّ ترتيبُ الألفاظِ على منوالِها ووفقَ قوانينِها، وما يقصدُهُ الجُرجانيُّ بـ (معاني النّحو): المعاني الذّهنيّة التي تتولّدُ في فِكرِ المُتكلّمِ عندَ نظمِ الجملِ، تلكَ المعاني التي تنشأُ من تحديدِ العلاقاتِ بينَ الأشياءِ المُعبّرِ عنها بالكَلِم، فتربطُها بعضها ببعضٍ، كما يربطُ السّلكُ الشّفّافُ حبّاتِ العِقدِ، لذلكَ يصبحُ الكلامُ نوعاً من الهذيانِ في حالةِ فقدانِها"[17]

ومن هذا المنطلقِ يتّضحُ لنا أنَّ دراسةَ التّركيبِ تنطلقُ من دراسةِ العلاقاتِ النّاشئةِ بين الاختيارِ الذّهنيّ والألفاظِ التي تظهرُ على سطحِ التّركيبِ، أي أنّ التّركيبَ يمرُّ بمرحلتين، أمّا المرحلةُ الأولى فهي مرحلةٌ عقليّةٌ تسبقُ التكلّمَ ويتضمّنُها ذهنُ المتكلّم، وفيها يحاولُ هذا المتكلّمَ إيجادَ علاقةٍ معنويّةٍ بين الألفاظِ، ثمَّ تأتي المرحلةُ الثّانيةُ التي يتمُّ من خلالِها تحديد الألفاظِ المناسبة لهذه العلاقة وهنا يلجأ المتكلّمُ إلى مخزونِه اللّغويّ والمعرفيّ لانتقاءِ اللّفظِ المناسبِ لذلك المعنى الذّهنيّ، وكلّما حصلَتِ المواءمةُ والملاءمةُ بين المعنى الذّهنيّ (العقليّ) واللّفظِ المختارِ، حصل التمايُزُ الأسلوبيّ الفنّيّ للخطيبِ أو الشّاعرِ .

4- العاملُ والتّركيبُ:

[13] دلائل الإعجاز في علم المعاني: عبد القاهر الجرجانيّ، صحح أصله علامتا المعقول والمنقول: الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده والأستاذ محمد محمود التركزي الشنقيطي، ووقف على تصحيح طبعه وعلق حواشيه السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط٢، 1987م .، ص٥١

[14] المصدر السابق نفسه، ص ٣٨

[15] في البلاغة العربية _ علم المعاني: محمود أحمد نحلة، دار العلوم العربية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٠م، ص٢٥

[16] مقالات في اللغة والأدب: د. تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦م، الجزء الثاني، ص٣٣٤-٣٣٥

[17] قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم : سناء حميد البياتي، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط١، ٢٠٠٣م، ص١٥

دراسةُ التّركيبِ النّحويّ تستدعي بالضرورةِ أن يعكفَ الدّارسُ على تحديدِ موقعِ العاملِ في هذا التّركيبِ، فإنّ نظريّةَ العاملِ تظلُّ بالنسبةِ إلى النَّحوِ العربيّ من أكبرِ المحرّكاتِ التي تتحكّمُ في بناءِ تراكيبِه، و نستطيعُ القولَ إنَّ أهمَّ ما يقومُ به العاملُ هو دورُه في بناءِ التّركيبِ، فتعاضُدُ بنيةِ هذا العاملِ مع دلالتِه يولّدُ الجملةَ ويكوّنُها.

وبذلك يكونُ العاملُ مركزاً للجملة، تتحدّدُ طبيعتُها وأُطُرُها بسببٍ من خصائصِه التّركيبيّةِ والدّلاليّةِ، وتدورُ باقي عناصرِ الجملةِ في محيطِ تأثيره، فامتدادُ الجملةِ وطولُها يختلفُ بحسبِ قوّةِ تأثيرِ العاملِ، فقد تمتدُّ الجملةُ العربيّةُ وتتوسّعُ دائرةُ العاملِ ليزيدَ من عددِ معمولاتِه، فالفعلُ (قابل) في قولنا: قابلَ المعلّمُ طالباً، هو الذي ولّدَ الجملةَ؛ لاقتضائِه فاعلاً وهو (المعلّمُ)، ومفعولاً به هو (طالباً)، وقد تتوسّعُ دائرةُ العاملِ في الجملةِ ذاتِها، فتصبح على سبيل المثال: (قابلَ المعلّمُ طالباً مجتهداً في المدرسة قبلَ المغيبِ)، وهنا امتدَّ تأثيرُ الموزّعِ (قابل) إلى بيانِ صفةِ المفعولِ به ومكانِ حدوثِ الفعلِ وزمانِه .

وانطلاقاً من تقسيمِ سيبويه المذكورِ آنفاً للكلام، نجدُ أنّ نظامَ الجملةِ العربيّةِ بما يشتملُ عليه من علاقةٍ قائمةٍ على التّلازمِ والاقترانِ بينَ العاملِ ومعمولِه محكومٌ بمبدأ تسلّط العاملِ أو بعبارةٍ أخرى "تأثير العامل"، هذا التّأثيرُ الذي يحدّدُ صحّةَ التّركيبِ أو غير ذلك فيما بعد[18]، فحينَ يتوافقُ التسلّط للعاملِ على المعمولِ دلالياً ينتجُ لدينا تراكيبُ صحيحةٌ، أمّا حينَ يتعارضُ تسلّط العاملِ على المعمولِ فتنتجُ لدينا تراكيبُ قد تكونُ مرفوضةً وقد تكون مجازيةً وقد تكون مؤوّلةً، ولتوضيحِ هذهِ التّراكيب نوردُها مُفصَّلَةً فيما يأتي:

-**التّراكيبُ الصّحيحةُ:** هي التّراكيبُ المستقيمةُ التي راعتِ الشّروطَ التّركيبيّةَ النحويّةَ، وحقّقَتِ الأغراضَ الدّلاليّةَ في التّوافقِ بينَ العاملِ والمعمولِ، وبعبارةٍ أخرى هي التّراكيبُ التي يتحقّقُ فيها التسلّطُ النّحويُّ والدّلاليُّ للعاملِ على معمولِه، دونَ وجودِ أيّ لبسٍ يحيدُ بنا عن المعنى المُرادِ، وهذا هو الكلامُ المستقيمُ نحويّاً ودلاليّاً، وذلك كقولِنا: أكلَ زيدٌ الطعامَ، إذ يصحُّ تسلُّط العاملِ "أكل" على المعمولِ "زيدٌ" لاقتضاءِ الفعلِ فاعلاً، كما نجدُ أنّ تأثير العاملِ قد امتدّ دلاليّاً وسمحَتْ له قوّتُه في العملِ بالتسلّطِ على المفعولِ "الطعام"[19] .

-**التّراكيبُ المرفوضةُ:** هي التّراكيبُ التي تخالفُ الأصولَ التّركيبيّةَ النّحويةَ فيما تتضمّنُه العلاقةُ من صحّةِ التسلّطِ للعاملِ على معمولِه، أي تشتملُ على مخالفةٍ لوجهيّ التسلّط دونَ مسوّغٍ، فتخالفُ القاعدةَ النّحويّةَ مخالفةً صريحةً ولا تحقّقُ الغرضَ المرجوَّ من المعنى، وهذا هو الكلامُ المُحالُ نحويّاً ودلاليّاً، وتُعدُّ تراكيب غير صحيحةٍ وذلك كقولنا: زيدٌ اليوم، أو زيدٌ يومَ الجمعة، فهو تركيبٌ مرفوضٌ؛ لأنّه لا يجوزُ لظروفِ الزمانِ أن تكونَ أخباراً عن الجُثثِ فلا فائدةَ في ذلك، أمّا قولهم: "اللّيلة الهلال"، فعلى معنى اللّيلةَ حدوثُ الهلالِ أو طلوعُ الهلالِ، فحُذِفَ المضافُ وأُقِيمَ المضافُ إليه مقامَه، فإذا كانَ المبتدأ جُثّةً ووقعَ الظّرفُ خبراً عنه، لم يكن ذلك الظّرفُ إلّا من ظروفِ المكان، كقولك: زيدٌ خلفَكَ.[20]

-**التّراكيبُ المجازيّةُ:** هي ذكرُ الشيءِ لفظاً وإرادةِ غيره معنىً، وقد يحقّقُ هذا التّركيبُ التسلّطَ النّحويَ إلّا أنّه يتعارضُ مع التأثير أو التسلّطِ الدّلالي، كقولنا: "حملتُ الجبلَ"، فالفعلُ "حملتُ" امتدّ تأثيره النّحويُ إلى المفعولِ "الجبل" نحوياً، لكنّ الجبلَ لايمكنُ حملُه على وجهِ الحقيقة، فهذا التّركيبُ حقّقَ مبدأ تسلّطِ العاملِ نحوياً على معمولِه، لكنَّه حَقَّقَ في الوقتِ ذاتِه معارضةً دلاليةً بينهما، ومنها قولُ الكُميتِ:

---

[18] يُنظر في شيءٍ منه: منزلة المعنى في نظرية النحو العربي: لطيفة النجار، رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن، 1995م، ص200- 201

[19] إذ المفعول به فضلة، وقد لا تمتدّ حاجة كثير من الأفعال إلى نصبه .

[20] يُنظر: اللمع في العربية: ابن جني، أبو الفتح بن عثمان، تح: حسين محمد شرف، ط1، القاهرة، مصر، 1978م، ص28

خلائقُ أنْزَلَتْكَ يفاعَ مجدٍ وأَعْطَتْكَ الثّمارَ بها القلوبُ[21]

فقد امتدَّ التّأثيرُ النّحويُ للعاملِ "أعطَتْك" إلى معموليه "القلوب" ومن ثمّ "الثّمار" على التوالي، ولكنّ هذا التّركيبَ خلقَ معارضةً دلاليةً في إسنادِ "الإعطاء" للقلوب، ومن ثمّ إعطاؤها الثّمارَ، ولكن بطبيعةِ الحالِ ليسَ هذا التّركيبُ وما شابَهه غيرَ قابلٍ للتفسير إذا ما وضعْنَاه في سياقٍ مناسبٍ، ووسّعْنَا معنىً واحداً أو أكثرَ من معاني كلماتِها لتشملَ أموراً تتعدّى الاعتياديّ أو الحرفيّ، وذلك عن طريقِ المبادئ التّقليديّةِ المُعترَفِ بها، كالاستعارةِ أو الكنايةِ أو المجازِ المُرسلِ[22]، فالجبلُ لا يمكن أن يكونَ هو المحمولَ الحقيقيَّ بل هو شيءٌ منه ثمّ أُطلِقَ اللّفظُ، والقلوبُ لا يمكن أن تعطي على وجهِ الحقيقةِ، بل يُفهَمُ من خلالِ السّياقِ أنّها تُعطِي المودّةَ والحبَّ، وهذا ما ذكرَهُ ابنُ جنّي في حديثِه عن إحالةِ سيبويه[23] لقولِ القائلِ: "أشربُ ماءَ البحرِ" بقولِه: "إنّما أحالَ ذلكَ على أنّ المتكلّمَ يريدُ به الحقيقةَ، وهذا مستقيمٌ؛ إذ الإنسانُ الواحدُ لا يشربُ جميعَ ماءِ البحرِ، فأمّا إن أرادَ بهِ بعضَه ثمّ أطلقَ هناكَ اللّفظَ يريدُ به جميعَه فلا محالةَ من جوازه"[24]

-**التّراكيبُ المؤوّلةُ:** هي التي تشتملُ على لبسٍ نحويٍّ يمكنُ تداركُه بشكلٍ من الأشكال، أوغموضٍ معنويٍّ تتعدّدُ فيه احتمالاتُ المعنى دونَ وجودِ قرينةٍ تُعينُ أحدَ الاحتمالاتِ أو ترجّحُه[25]، فتخالفُ هذه التّراكيبُ الأصولَ النّحوية، إلّا أنَّ هذهِ المخالفةَ يمكنُ رتقُها بفضلِ النّظريّةِ التّفسيريّةِ التي أوجدَتْهَا اللّغةُ في تحليلِ التّراكيبِ، وهي نظريّةُ العاملِ النّحويّ، إذ "من المألوفِ في فلسفةِ العِلمِ إذا ما وُضِعَتْ نظريةٌ لكي تفسّرَ الحالاتِ الواضحة، فإنّ هذه النّظريّةَ نفسَها يمكنُ أن تُستَعمَلَ في الحالاتِ غيرِ الواضحة"[26]

وقد استخدمَ النّحاةُ أساليبَ متعدّدةً من التّأويلِ في سبيلِ رتقِ مخالفاتِ التّراكيبِ، ولنستبينَ طريقَ النّحاةِ في ذلك نعرِضُ بعضَ هذه الأساليبِ التي كانَ لتأويلِ النّحاةِ فيها عنايةٌ بالمعنى والمبنى، فمن مظاهرِ التّأويلِ في التّراكيبِ العربيّة ما وردَ في موضوعاتٍ منها:

1-الاشتغال: اعتمدَ النّحاةُ على التّأويلِ في تفسيرِ جملةِ الاشتغالِ[27] التي يتقدّمُ فيها المفعولُ به على الفعلِ، كقولنا: زيداً قابلْتُهُ، فـ "زيداً" مفعولٌ به بفعلٍ مضمرٍ تقديره: قابلتُ زيداً قابلْتُه، ومنهُ في القرآن الكريم قوله تعالى: {وَالْجَآنَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ} (الحجر15)، إذ (الجانَ) منصوبٌ على الاشتغالِ بفعلٍ مضمرٍ تقديره:"خلقنا الجانَ"، ومن ذلك قولُ الكُميتِ في مدحِ آلِ البيتِ:

ومَنْ غيرَهُم أرضى لنفسي شِيعةً ومن بعدَهُم لا مَنْ أُجِلُّ وأُرْجَبُ[28]

فقد اشتغلَ الفعلُ "أرضى" بالمفعولِ به "غيرَهم"، ولذلك فُسِّرَ البيتُ على تقدير: من أرضى غيرَ آل محمّدٍ صلّى الله عليه وسلّم شيعةً لنفسي .

---

[21] ديوان الكميت: جمع وشرح وتحقيق: د .محمد نبيل طريفي، بيروت، دار صادر، ط١، ٢٠٠٠م، ص55، في أساس البلاغة: "(ثمرٌ): وفلانٌ خصّني بثمرة قلبه: بمودّته، واليفاع: المشرف من الأرض والجبل، ويفاع المجد: أعلاه"، شرحُ الشواهد الواردة في البحث مأخوذ من حاشية ديوان الكميت .

[22] يُنظر: اللغة والمعنى والسياق: جون ليونز، ترجمة: عباس صادق الوهاب، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، 1987م، ص113

[23] وهو ما أشار إليه سيبويه في باب "الاستقامة من الكلام والإحالة" بقوله: "وأمّا المستقيم الكذب فقولك: حملتُ الجبل وشربت ماء البحر ونحوه"، يُنظر: الكتاب: سيبويه، مصدر سابق، ج1، ص25-26

[24] الخصائص: ابن جنّي، مصدر سابق، 455/2

[25] يُنظر: مقالات في اللغة والأدب: د. تمام حسان، معهد اللغة العربية بجامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1985م، ص360

[26] يُنظر: نظرية تشومسكي اللغوية: جون ليونز، ترجمة وتعليق: د. حامي خليل، ط1، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر، 1985م، ص89.

[27] أو "المنصوب على شريطة التفسير"، يُنظر: شرح الكافية: الاستراباذي، مصدر سابق، 398/1-433

[28] ديوان الكميت، ص518، ورجَبْتُهُ: أي: هِبْتُه وعظّمتُهُ، ومنه سُمّيَ رَجَبُ لأنّهم كانوا يُعظّمونه ويتركون الغزوَ فيه .

2-الاختصاص: لجأ النّحاةُ كذلك إلى توجيهِ جملةِ الاختصاصِ كسابقتِها جملةِ الاشتغالِ، وذلك على تقديرِ فعلٍ مضمرٍ عَمِلَ في الاسمِ المنصوب، ومنه قولُ الكُميتِ:

إلَيْكُم ذَوِي آلِ النّبيّ تَطَلّعَتْ نوازعُ من قلبي ظِماءٌ وَأَلْبُبُ[29]

فأصلُ الكلامِ: أدعو ذَوِي آلِ النّبيّ، أو أَخصُّ ذوي آلِ النّبيّ، وبذلك تكونُ كلمةُ "ذَوِي" منصوبةً على الاختصاصِ بفعلٍ مضمرٍ تقديره: أخصُّ أو أعني، والنّحاةُ بهذا التّأويلِ يخرجون الاختصاصَ من بابِ النداءِ، ليُلحِقُوه في المفعولِ به لقولهم: "واعلمْ أنّ هذا الضّربَ من الاختصاصِ ليس نداءً على الحقيقة، وإنْ كانَ جارياً مجراه، وذلكَ من قِبَلِ أنّه منصوبٌ بفعلٍ مضمرٍ غير مستعملٍ إظهاره، ولا يكون إلّا للمتكلّمِ والمُخاطَب وهما حاضران ولا يكون لغائبٍ"[30]

3-التّحذيرُ والإغراءُ: كما لجأ النّحاةُ في جملتي الاشتغال والاختصاص إلى تقديرِ فعلٍ محذوفٍ، كذلك الأمرُ فيما أسمَوه بأسلوبِ "التحذير والإغراء"، فهو منصوبٌ بفعلٍ مضمرٍ، و"ظهورُ العاملِ فيه من الأصولِ المرفوضةِ"[31] فقدّرُوه، كقول الكميت: **لَيْلَكَ ذا لَيْلَكَ الطَّوِيلَ كما عَالَجَ تَبْرِيْحَ غُلَهِ الشَّجِبُ**[32]

أي: الزمْ لَيْلَكَ الطّويلَ، بتقديرِ فعلٍ عملَ النّصبَ في ليلك، فقد حذفَتِ العربُ الفعلَ مراعاةً للمقام، و"استغناءً بما يرونَ من الحال، وبما جرى من الذّكرِ"[33] .

4-التّنازُع: اتّبعَ النّحاةُ التّأويلَ في تناولِهم جملةَ التّنازعِ، وقد ذُكِرَ هذا المصطلحُ عندَ سيبويه تحتَ عنوانٍ هو"بابُ الفاعلين والمفعولين"[34]، وهو في تعريفِ ابنِ هشام: "أن يتقدّمَ عاملان أو أكثر، ويتأخرُ معمولٌ أو أكثر ويكونُ كلٌّ من المتقدّمِ طالباً لذلك المتأخّرَ"[35]، أيّ الأصلُ الذي عُقِدَ عليه بابُ التّنازُعِ أن يتقدّمَ عاملانِ ويتأخّرَ عنهما معمولٌ، ويكون كلٌّ من العاملين طالباً للمعمول، كقولنا: قرأَ ونجحَ الطالبُ، وكقوله عليه الصّلاةُ وأفضلُ السّلام: **<تسبّحون وتحمدون وتكبّرون دُبرَ كلّ صلاةٍ ثلاثاً وثلاثين>**[36]، فـ"دبرَ" منصوب على الظرفية، و"ثلاثاً وثلاثين" منصوب على أنّه مفعول مطلق، وقد تنازعَهُما كلٌّ من العواملِ الثّلاثةِ السابقةِ عليهما[37] ، ولا خلافَ بينَ الكوفيين والبصريين في جوازِ إعمالِ أيٍّ من العاملين، إنّما الخلافُ في المُختارِ، فالكوفيون يختارونَ إعمالَ الأولِ السّبقة، والبصريون يختارونَ إعمال الأخيرِ لقُربِه[38]، وانطلاقاً من العلاقةِ التّلازميّةِ التي تحكمُ طرفيّ العملِ النّحوي، فقد لجأَ النّحاةُ إلى تقديرِ عاملٍ مضمرٍ سواء أعملتَ الأوّلَ أم الثّاني.

ولو تركَ النّحاةُ – في رأينا – التمسّكَ بنظريّةِ العاملِ في هذا الموضعِ الذي نتجَ منه بابُ التّنازعِ، وجوّزوا تعدُّدَ الفعلِ والفاعلُ واحدٌ نظيرُ ما يتعدّدُ الخبرُ والمبتدأ واحدٌ وكما يتعدّدُ المفعولُ والفعلُ واحدٌ، ليُيَسّرَ هذا البابُ،

---

[29] ديوان الكميت، ص518، وتطلّعتْ: أشرفتْ شوقاً، ظماءٌ: عِطاشٌ إلى محبّتكم ولقائكم، وألبُب: جمع لُبّ في العدد القليل، وهو العقل.
[30] يُنظر: شرح المفصّل: ابن يعيش، مصدر سابق، 18/2
[31] وهذا ليس على إطلاقه، يُنظر: شرح المفصّل: ابن يعيش، مصدر سابق، 25/2
[32] ديوان الكميت، ص580، والتبريحُ: ما بُرّح به وعُبّر به، والشّجِبُ: الهالِكُ، وشبّه المغلولَ الذي منعَهُ ثِقَلُ غُلّهِ من النوم به.
[33] يُنظر: الكتاب: سيبويه، مصدر سابق، 7/1
[34] يُنظر: المصدر السابق نفسه، 73/1
[35] يُنظر: قطر الندى وبلّ الصّدى: ابن هشام الأنصاري، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط11، مطبعة السعادة، 1963م، ص198
[36] يُنظر: المصدر السابق نفسه، ص198
[37] يُنظر: المصدر السابق نفسه: ص198
[38] يُنظر: شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب: جمال الدين أبو محمد بن عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ص541، في قواعد العربية: أحمد علم الدين الجندي، مكتبة الشباب، القاهرة، القاهرة، مصر، 1981م، 238/3، ويُنظر: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: جلال الدين السيوطي، تح: عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، ط1، الكويت، 1980م، 137/4

وأبعدَهم عن التكلُّفِ والتعسُّفِ في توجيهِ كلامِ الفُصحاءِ شعراً ونثراً، وإخضاعِهِ لقاعدتِهم التي تفرضُ على أربابِ الفصاحةِ ضرورةَ إعمالِ الأوّلِ أو الثّاني.

ثانياً: مفهوم البنية الأسلوبية:

يُعَدُّ كلٌّ من مُصطلَحيّ البنيةِ والأسلوبيّة من المُصطلَحاتِ الحديثةِ في مجالِ الدّراساتِ اللّغويّةِ، بل يُعدَّان من المنطلقاتِ الأساسيّةِ في كيانِها الفِكريّ، وانطلاقاً ممّا سبقَ من توضيحٍ لكلٍّ من مفهوميّ البنيةِ والأسلوبيّةِ ارتأتِ الدّراسةُ في هذا المبحثِ ضرورةَ توضيحِ علاقتِهما بعضِهما ببعض، والإشارةِ إلى أهميّةِ البنيةِ في التوجُّهِ اللّغويّ للأسلوبيّة.

وللوقوفِ على الآصِرَةِ الوطيدةِ بينَ كُلٍّ من المفهومين، تجدرُ بنا الإشارةُ بدايةً إلى أنّ اللّغةَ لا تَقِفُ عندَ حدودِ اللّفظِ، بل تُقولِبُ تلكَ الألفاظَ في قوالبَ ترمزُ للمعاني، فقيمةُ اللّغةِ تكمنُ في علاقاتِ ألفاظِها بعضِها ببعض في سبيلِ إيصالِ المعاني إلى المُتلقّي، فاللّفظةُ المفردةُ لا قيمةَ لها بمنأى عن غيرِها "ولكن لأنْ يُضَمَّ بعضُها إلى بعضٍ فيُعرَفُ فيما بينها من فوائدَ، والدّليلُ على ذلكَ أنّا إذا زعمْنَا أنَّ الألفاظَ التي هيَ أوضاعُ اللّغةِ، إنّما وُضِعَتْ لِيُعرَفَ بها معانيها في أنفُسِها، لأدّى ذلكَ إلى ما لا يشكُّ عاقلٌ في استحالَتِه"[39]، فاللّغةُ تقومُ في أساسِها على مجموعةٍ من العلاقاتِ الحيّةِ المُتناميةِ، وليستْ مُجرّدَ رصفٍ للألفاظِ بلا تعلُّقٍ فيما بينَها، وتلكَ العلاقةُ بينَ الألفاظِ هيَ التي تنقلُ اللّغةَ من دائرةِ العفويّةِ إلى مرحلةِ الوعي الإبداعيّ، هذهِ المرحلةُ التي لا يمكنُ رصدُها في الأبنيةِ المفردةِ بل لا بُدَّ من تجاوزها إلى الدائرةِ التّركيبيّةِ.[40]

ومن هنا يأتي دورُ البنيةِ التي تُعَدُّ أداةً للكشفِ عن ذلكَ التّنظيمِ الدّاخليّ القائمِ بينَ الألفاظِ، وطبيعةِ علاقاتِها وتفاعلاتِها مع بعضِها البعض، وفي السّياقِ ذاتِه تُعرَفُ الأسلوبيّةُ بأنّها البعدُ اللّسانيّ الذي يتوجّهُ إلى العلاقةِ الرّابطةِ بين التّركيبِ اللّغويّ ومدلولِ مُحتَوَى صياغتِهِ، وعليهِ فإنَّ مجالَ عملِ الأسلوبيّةِ يتوجّهُ نحوَ البنيةِ، فهيَ – الأسلوبيّةُ – تعتمدُ البنيةَ اللّغويّةَ للنّصّ منطلقاً أساسياً في عملِها الذي يبدأُ من لغةِ النّصّ وينتهي إليها، كما أنّ البنيةَ في الدّراسةِ الأسلوبيّةِ تعني في مُسمّاها صراحةً عدمَ الفصلِ بينَ الشّكلِ والمعنى .[41]

وإنَّ التّحليلُ الأسلوبيُّ يقومُ على أساسِ البنيةِ النّحويّةِ ووظيفتِها الإبلاغيّةِ، فالتفرُّدُ الأسلوبيُّ يرجِعُ في أحدِ جوانبِهِ إلى طريقةٍ متميّزةٍ في استعمالِ اللّغةِ، أيّ طُرقِ تركيبِ بنياتها اللّغويّةِ في النّصّ الأدبيّ، وبما أنّ النّصَّ كيانٌ لغويٌّ واحدٌ بدوالِهِ ومدلالوتِه، فلا مجالَ للفصلِ بين البنيةِ والأسلوبيّةِ، أو البحثِ في أحدِ الجانبينِ دونَ الآخر، أيّ أنّ البنيةَ اللّغويّةَ تفضي إلى أسلوبيّةِ النّصّ الأدبي[42]، وتجدرُ الإشارةُ هُنا إلى أنّ ما يهمُّ البحثَ هو البنيةُ في مستواها

---

[39] دلائل الإعجاز: الجرجاني، مصدر سابق، ص469

[40] يُنظر: الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني – منهاجاً وتطبيقاً: د. أحمد علي دهمان، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، سوريا، ط1، 1986م، 89/1، و البلاغة العربية – قراءة أخرى: د. محمد عبد المطلب، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، دار نوبار للطباعة، القاهرة، ط1، 1997م، ص98

[41] يُنظر: دليل الدراسات الأسلوبية: د. جوزيف ميشال شريم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1984م، ص36-37، و النظرية اللغوية العربية الحديثة: د. جعفر دك الباب، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، مطبعة اتحاد الكتّاب العربي، دمشق، سوريا، 1996ص60، ويُنظر: الأسلوبية والأسلوب: عبد السلام المسدّي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، ١٩٧٧م، ص35، والأسلوبية في النقد العربي الحديث (دراسة في تحليل الخطاب): فرحان بدري كاظم علي، أطروحة دكتوراه، كلية التربية (ابن رشد)، جامعة بغداد، العراق، 2001م، ص161، والأسلوبيّة مدخل نظريّ ودراسة تطبيقية: فتح الله أحمد سليمان، مكتبة الآداب، القاهرة، 2004م، ص31-36

[42] يُنظر: الأسلوبيّة مدخل نظريّ ودراسة تطبيقية: فتح الله أحمد سليمان، مصدر سابق، ص28-37-54، والأسلوبية في النقد العربي الحديث (دراسة في تحليل الخطاب): فرحان بدري كاظم علي، مصدر سابق، ص162

التّركيبيّ، وذلكَ انطلاقاً من أهميَّةِ هذا المستوى وتأثيرِه في التّركيبِ النّحويّ، وانتقالُ هذا التأثيرِ إلى البيتِ الشّعريّ كاملاً فالنَّصّ ككُلٍّ.

والتّركيبُ النّحويُّ هو خاصيّةُ الأقوالِ التي يُستفَادُ معناها من مجموعِ معنى مكوّناتِها[43]، أيّ أنّ الكلامَ رهنٌ للعلاقةِ القائمةِ بينَ المُسنَدِ والمُسنَدِ إليه وما يرتبطُ بهما من متمّماتٍ للتّركيب، وللكشفِ عن القيمةِ الأسلوبيّةِ لتلكَ العلاقةِ لا بُدَّ من التّفريقِ بدايةً بين ما أسمَاهُ اللّسانيّونَ بالبنيةِ السّطحيّةِ والبنيةِ العميقةِ للتّركيب[44]، وهو ما عُرِفَ عندَ نُحاةِ العربيّةِ المُحدَثين بالدّلالةِ الظّاهرةِ والدّلالةِ الباطنة[45]، "ونعني بالدّلالة الظّاهرةِ المعنى الذي يُعطيهِ ظاهرُ اللّفظِ، وبالدّلالةِ الباطنةِ المعنى الذي يُعطيهِ فحوى الكلام، ولا يُفهَمُ من ظاهرِ العبارةِ"[46].

فهناكَ خلافٌ واضحٌ بين البنيتين السّطحيةِ والعميقةِ، وتأكيداً لذلك الخلافِ فإنّنا نلاحظُ حينَ ننظرُ إلى كثيرٍ من التّراكيب من حيثُ بنيتُها السّطحية أنّها مُتشابهةٌ في تشكيلِها النّحويّ، ولكن إذا نظرنا إلى بنيتِها العميقة يتوضّحُ لنا الخلافُ فيما بينَها، ولعلّ الصّورةَ المُثلى في كلِّ اللّغاتِ أنْ تتّفقَ بُناها العميقةِ مع بُناها السّطحية، ولكنّ هذا لا يحدثُ في الواقعِ اللّغويّ .

ولتوضيحِ ذلك، تأمّلْ أبياتَ الكُميتِ الآتية:

يقولُ مادحاً: **هُـمُ أَبْـنَـاءُ آدَمَ لَـمْ أَجِـدْهُـمْ إلى نَسَبٍ سِوَاهُ مُجْمِعِيْنَا**[47]

ويقولُ في موضعٍ آخرَ مادحاً: **وَأَنْتُمْ غُيُوثُ النَّاسِ في كُلِّ شَتْوَةٍ إذا بلـغَ المَحْلُ الفَطِيْمَ المُعَفَّرَا**[48]

كما يقولُ مُفْتَخِراً في موضعٍ آخر: **فَنَحْنُ فَوَارِسُ الهَيْجَا إذا مَا أَبَالَ الحَاصِنَ الحَدَثُ الجَنِيْنَا**[49]

وعندَ التّأمُّلِ في الشّواهِدِ السّابقةِ نلاحِظُ أنّ التّراكيبَ الاسميّةَ الآتية: **(هُـمْ أَبْـنَـاءُ آدَمَ)** – **(أَنْتُمْ غُيُوثُ النَّاسِ)** – **(نَحْنُ فَوَارِسُ الهَيْجَا)** متشابهةٌ في بنياتِها النّحويّةِ الخارجيّةِ أو السّطحيةِ، لكونِهَا جميعاً تتألّفُ من مبتدأ معرفةٍ (ضميرٌ منفصلٌ) وخبرٍ معرفةٍ (مُعرَّفٌ بالإضافة)، ولكنْ عِندَ اللجوءِ إلى التّحليلِ الأسلوبيّ للأخبارِ الواردةِ في تلك التّراكيبِ تكشفُ لنا اختلافَ المعنى في بنياتها العميقةِ، ففي قوله: **(هُـمْ أَبْـنَـاءُ آدَمَ)** نجدُ الإضافةَ بين (أبناء)و(آدم) بمعنى "مِنْ"، أيّ هُمُ من أبناءِ آدمَ، أمّا قولُه: **(أَنْتُمْ غُيُوثُ النَّاسِ)**، فإنّ الإضافةَ بين (غيوث)و(النّاس) هي بمعنى "اللّام"، أيّ أنتُم غيوثٌ للناسِ، وقوله: **(نَحْنُ فَوَارِسُ الهَيْجَا)** فالإضافةُ فيهِ بين (فوارس)و(الهيجا) بمعنى "في"، أيّ نحنُ فوارسٌ في الهيجا.

---

[43] يُنظر: مدخل لفهم اللّسانيات إيبستمولوجيا أولية لمجال علمي: روبير مارتن، ترجمة: د. عبد القادر المهيري، مراجعة: د. الطيب البكوش، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2007م، ص205

[44] نظريات تشومسكي اللسانية: شيخ يعقوب أديجي ، بحث مقدم لمقرر اللسانيات الحديثة، قسم اللغويات كلية اللغة العربية الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، 2019م، ص11، ويُنظر: اللسانيات نشأة وتطور: أحمد مومن، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، 2005م، ص212، منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث: علي زوين ،دار الشؤون الثقافية العامة ، ط1، بغداد ، 1986م، ص 16

[45] اللسانيات التوليدية من نظرية العمل والربط إلى البرنامج الأدنوي: محمد الملاح و حافظ اسماعيلي علوي، دار كنوز للمعرفة للنشر والتوزيع، عمان ، الأردن ، ط1 ، 2016 ، ص 257،البنية العميقة ومكانتها لدى النحاة العرب: عبد الله أحمد جاد الكريم حسن، شبكة الألوكة، د.ب ، د.ط ، ص 4، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية: د.ميشال زكريا، لبنان، ط2، 1986م، ص 163.

[46] الجملة العربية والمعنى: د. فاضل صالح السامرائي، دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2000م، ص22

[47] ديوان الكميت، مصدر سابق، ص482، والشاهدُ من نونيّةِ الكميت، وهي إحدى قصائد الهاشميات.

[48] المصدر السابق نفسه، ص 165، والمعفر: الذي تريد أمه فطامه، فهي تعلله بالشيء ليستغني عن اللبن، والغيثُ: المطر، أي أنتم كالغيث للناس في المحلِ، والمحلُ: الجدبُ والقحطُ .

[49] المصدر السابق نفسه، ص430، والشاهدُ من نونيّةِ الكميت، والحاصنُ: المرأة ذات الزوج، والجنين: الولد في بطن امه، والهيجا: الحرب، يقول: نحنُ فوارسُ الحربِ إذا نابَ هذا الأمرُ الفظيعُ .

ومن المُلاحَظِ في الأمثلةِ السّابقةِ أنَّ الشّكلَ التّركيبيَّ للخبر هو ما خلقَ أثراً أسلوبيّاً دونَ أنْ تخرجَ بنيةُ هذا الأثرِ الأسلوبيّ عن القواعدِ النّحويّةِ المألوفةِ، فاختيارُ الشّاعرِ لِصِيَغِ الخبر في كلٍّ من الأمثلةِ السّابقةِ هو ما خلقَ فرقاً أسلوبيّاً في بنية التّركيبِ النّحويّ في كلٍّ مِنْها.

وخلاصةُ القولِ: إنَّ الوصولَ للبنيةِ لا بُدَّ أن ينطلِقَ من دراسةِ طرائقِ تركيبِها بدايةً، وذلك من خلالِ تحليلٍ أسلوبيٍّ لتلكَ الطّرائقِ، فَلِكلِّ طريقةٍ من طرائقِ تركيبِ البنيةِ أثرٌ فاعِلٌ يَمنَحُ التّركيبَ النَّحويَّ قيْمتَهُ الأسلوبيّةَ وفاعليّتَه الفنّيّةَ .

- **ثالثاً: الأسلوبيّة والتّركيب:**

تخضعُ اللُّغةُ بما تشتملُ عليهِ من مفرداتٍ وتراكيبَ إلى قوانينِ النَّحْوِ وقواعِدِهِ، وأيُّ اختيارٍ لمُفرداتِ تركيبٍ ما ينبغي أنْ يكونَ عبرَ تلكَ القوانينِ القائمةِ على منطقٍ عقليٍّ يوجّهُ هذا الاختيارَ، ولذلكَ ينبغي أنْ تُبحَثَ التّراكيبُ ضمنَ السّياقِ العامّ للقواعدِ النَّحْويّةِ، ويتمُّ ذلكَ من خلالِ ما يُتَاحُ للمُتكلّمِ من احتمالاتٍ نحْويّةٍ ينتجُ عنها أنماطٌ تركيبيّةٌ ترتبطُ بهذا المُتكلّمِ وتدلُّ عليهِ، فالقدرةُ على اختيارِ بعضِ الاحتمالاتِ دونَ بعضِها الآخر هو ما يُميّزُ مُبدِعاً من آخرَ.[50]

ونصِلُ بذلكَ إلى القولِ إنّ الأسلوبيّةَ التّركيبيَّةَ تقومُ في أساسِها من مجموعِ العلاقاتِ القائمةِ داخلَ بنيةِ التّركيبِ النّحويّ، وتتَّخِذُ من النَّصّ مركزاً للوصولِ إلى قِيَمِها التَّعبيريّةِ عن طريقِ معرفةِ ألفاظِ التّركيبِ ورَصْدِ حركتِها ومُتغيّراتِها، أيْ من خلالِ اختيارِ المُتكلّمِ أدواتِهِ التّعبيريّةَ من الرّصيدِ المُعجميّ للغةِ ثُمَّ تركيبِها تركيباً يقتضِي بعضُهُ قوانينَ النَّحْوِ وتسمحُ ببعضِهِ الآخرِ سُبُلُ التَّصرُّفِ عندَ الاستعمالِ، وإنَّ كُلَّ تركيبٍ نحويٍّ ما هو إلّا مجموعُ علاقاتِ المعنى القائمةِ بينَ المُفرداتِ في بنيتِهِ، فالإفصاحُ عن المعنى يقومُ من خلالِ العلاقاتِ النَّحويّةِ بينَ مفرداتِ هذا التّركيبِ التي تعودُ إلى المعنى التّركيبيّ الذي يَرتَكِنُ إلى نظامٍ عميقٍ يمتلِكُهُ المُتكلّمُ وبهِ يستطيعُ أنْ يُميّزَ جملةً من أُخرى.[51]

وتجدرُ الإشارةُ إلى أنَّ هذا المَعْنَى التَّركيبيّ للنَّحْوِ هو ما يُمثّلُ الرُّكنَ الأساسَ للدراساتِ الأسلوبيّةِ، فالنّحْوُ يضبطُ لنا بقيودِهِ قوانينَ الكلامِ، وتأتي الأسلوبيّةُ من ورائِهِ لتتحرَّكَ في حريّةٍ خلفَ تلكَ القيودِ، وما بينَ تلكَ القوانينِ الصّارمةِ للنّحوِ والحريّةِ الأسلوبيّة نجدُ أنَّ كُلَّ مُفردةٍ من مفرداتِ التَّركيبِ النَّحْويّ قد تقومُ بوظيفةٍ أسلوبيّةٍ أو غيرِ أسلوبيّةٍ، فالتّركيبُ النَّحْويُّ في أصلِ وضعِهِ قد لا يحملُ أيّةَ قيمةٍ أسلوبيّةٍ، وإنّما تترابطُ فيهِ المُفرداتُ تبعاً لقواعدِ النّحْوِ وثوابتِها، أمّا التَّركيبُ النَّحْويُّ الذي يحمِلُ قيمةً أسلوبيّةً فإنّه يكونُ مُشتمِلاً على مُتغيّرٍ أسلوبيٍّ ما، وذلكَ من خلالِ تغييرِ يُصِيبُ موقعَ الكلمةِ في بنيةِ هذا التَّركيبِ، أو استبدالِ صيغةٍ بأُخرى أو خروجٍ عن الثّوابتِ المُتعَارَفِ عليها، أو تكرارٍ للمُفردةِ أو للصيغةِ، أو قد يكونُ من خلالِ إيثارِ استخدامِ الجُمل الاسميّةِ على الفعليّةِ، أو من خلالِ استخدامِ بعضِ التّوابعِ، أو استخدامِ مُكمّلاتٍ للجملةِ زائدةٍ على رُكنيها، وأيّاً كانتِ المُتغيّراتُ النّحويَّةُ فإنّها تَخلقُ سمةً أسلوبيّةً أو قيمةً تعبيريّةً تُميّزُهُ من غيرِهِ من التّراكيبِ الأُخرى، فدراسةُ التّركيبِ النّحويّ من خلالِ أسلوبيّتِهِ التّركيبيّةِ تستندُ إلى

[50] يُنظر: الأسلوبية في دراسات الإعجاز القرآني حتى القرن السادس الهجري: عواطف كنوش مصطفى التميمي، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة البصرة، العراق، 1995م، ص 113

[51] يُنظر: أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث: د. توفيق الزيدي، الدار العربية للكتاب، بيروت، لبنان، 1984م، ص140، ويُنظر: النقد والحداثة: عبد السلام المسدّي، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، بيروت، لبنان، 1983م ص 40، ويُنظر: النحو العربي والدرس الحديث، بحث في المنهج: د. عبده الراجحي، دار النهضة للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، 1986م، ص118

البحثِ عن القِيَمِ التّعبيريّةِ أو السِّماتِ الأسلوبيّة؛ لأنّ هذا التّركيبَ تتلاشَى قيمَتُهُ وتضيعُ هياكلُهُ اللّغويّةُ إنِ افتقدَ سماتِهِ الأسلوبيّةَ .[52]

وقد فرضَتِ الأسلوبيّةُ على دارسِ الأسلوبِ تحديدَ الخصائصِ والسِّماتِ التي يراها جديرةً بالقياسِ الكَمّي، ليحصلَ على مؤشّراتٍ عَدديَّةٍ، توصِلُه إلى نتائجَ موضوعيَّةٍ دقيقةٍ، فالإحصاءُ يُضفِي شيئاً من الموضوعيّةِ والحيادِ والدّقّةِ بعيداً عن انطباعيّةِ الدّارسِ، فالتّشخيصُ الأسلوبيُّ الإحصائيُّ يُعَدُّ وسيلةً مَنْهَجيَّةً مُنضَبِطَةً يمكنُ بها استنفاد الدّرسِ الأسلوبيّ من ضبابِ العمومِ والتّهويم، وتخليصُهُ من سُلطانِ الأحكامِ الذّاتيّةِ، ومن تلكَ السّماتِ إضافةً إلى ما ذكرْناهُ سابقاً نوعُ الجُملةِ المُستخدَمَةِ، وطولُ الجُملِ أو الكلماتِ أو قِصَرُها، والزّيادةُ أو النّقْصُ في استخدامِ صِيَغٍ مُعيّنةٍ، أو إيثارُ تراكيبَ أو استعاراتٍ مُعيّنةٍ، فهذهِ السّماتُ حينَ تحظى بنسبةٍ عاليةٍ من التّكرارِ، وحينَ ترتبطُ بسياقاتٍ مُعيّنةٍ على نَحْوٍ لهُ دلالتُهُ، تُصبِحُ خواصّ أسلوبيَّةً، ويتباينُ ظهورُها من نصٍّ إلى آخر، وهذا العملُ كلُّهُ يقعُ على عاتقِ الأسلوبيّةِ الإحصائيّةِ التي تعتمدُ على الإحصاءِ وسيلةً لتشخيصِ الاستخدامِ اللّغويّ عندَ المُبدِعِ، وإبرازِ السِّماتِ الأسلوبيَّةِ للنّصِّ الأدبيّ وخصائصِهِ الجماليّة، فيلجأ المُحلِّلُ الأسلوبيُّ إلى قياسِ مُعدَّلاتِ التّكرارِ للمُثيراتِ أو العناصرِ اللُّغويّةِ الأسلوبيّةِ.[53]

وانطلاقاً ممَّا سَبَقَ، فإنّ استخدامَ تراكيبَ بعينِها ليسَ من بابِ العشوائيَّةِ والعفويّةِ، بل تقومُ في تركيبِها على مجموعةِ علاقاتٍ مُترابطةٍ بين وحداتٍ تركيبيّةٍ، قد يُمثِّلُ اختيارُ كلِّ وحدةٍ منها سمةً أسلوبيّةً، ووفقاً لهذا المنظورِ سنحاولُ دراسةَ أسلوبيّةِ التّركيبِ النَّحويّةِ من خلالِ الوحداتِ المُستخدَمَةِ فيهِ، وذلكَ على النّحْوِ الآتي:

أ- أسلوبيّةُ العلامةِ الإعرابيّةِ في بنيةِ التَّركيبِ النَّحْويّ:

كلُّ تغييرٍ في العلامةِ الإعرابيّةِ لا بُدَّ أن يشتملَ على غرضٍ أسلوبيّ؛ لأنَّ السِّماتِ الأسلوبيّةَ الخاصَّةَ بالبنيةِ التّركيبيّةِ تختلفُ من علامةٍ إلى أُخرى، ومنهُ قولُ الكُميتِ:

كلامُ النَّبِيِّيْنَ الهُداةِ كَلامُنا وأفعالُ أهلِ الجاهليَّةِ نَفْعَلُ[54]

فلو ذهبَ الشَّاعرُ إلى النَّصْبِ في قوله "أفعالَ" على تقديمِ المفعولِ فيقول: "وأفعالَ أهلِ الجاهليَّةِ نفعلُ"، لاختلفَ المعنى وتغيّرت صياغةُ الجملة من الاسميّة إلى الفعليّة، فالاختلافُ في المعنى ينبعُ بدايةً من دلالة الجملة الاسميّة على الثبوت والاستقرار لتلك الأفعال التي يقومون بها، ومن دلالة الفعليّة على تجدّدِ أفعالهم وتغيُّرِها، وإضافةً إلى ما سبق يمكننا القول: إنَّ هناك فرقاً جوهرياً آخرَ بين مدلولِ كُلٍّ من الجملتين، وهو أنَّ الابتداءَ يكونُ بالمعلوم وتُثنّيهِ بالمجهول، فالمعلومُ لدى الشّاعر والمتلقّي هي أفعالُ أهلِ الجاهليّةِ، والمجهولُ عندَ السّامعِ هو قيامُهم بتلك الأفعال، فالفرق بين: نفعلُ أفعالَ...، وأفعالُ أهلِ ...نفعلُ، أنّه لو قالَ: (أفعالَ) بالنصب لكانت غايتُه أن يُخبرَ عنهم، ويُثبتَ أين وقعَ فعلُهم، أمّا قوله: (وأفعالُ)، فإنما أرادَ به أن يُخبرَ عن أفعالهم، أضِف إلى ذلك أنَّ اختياره الجملة الاسميّة، والابتداء بالاسم المرفوع مردّه أنّه أرادَ أن يلفتَ انتباهَ السامع أوّلاً إلى أفعالِ الجاهليّةِ، وإلى قيامِهم بها ثانياً، وكأنَّ قيامَهم بها كان غير مظنونٍ، أو غير متوقّعٍ لسببٍ من الأسباب، أو لكونِهم ينطقون بكلامِ الأنبياء، فأراد أن

---

[52] يُنظر: البلاغة والأسلوبية: محمد عبد المطلب، ، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر والتوزيع، لونجمان، ط1، 1994م، ص 148، ويُنظر: الأسلوب والأسلوبية: بيير جيرو، ترجمة: منذر العياشي، مركز الإنماء القومي، لبنان ، 1985م، ص15

[53] يُنظر: علم الأسلوب مفاهيم وتطبيقات: محمد كريم الكواز، منشورات جامعة السابع من إبريل، ط1، بنغازي، ليبيا، 2005م، ص105، ويُنظر: الأسلوب دراسة لغوية إحصائية: د. سعد عبد العزيز مصلوح، عالم الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط3، 1992م، ص51، ويُنظر: في التشخيص الأسلوبي الإحصائي للاستعارة بتطبيق على أشعار البارودي وشوقي والشابي: د. سعد مصلوح، مجلة الفكر، العدد30، نوفمبر، 1984م، ص234-235

[54] ديوان الكميت، ص588، يقولُ: كلامُنا كلامُ الأنبياءِ عليهِم السلامُ، ونفعلُ أفعالَ أهلِ الجاهليَّةِ، يعني بني مروان يتكلّمونَ بالحق ويأمرون به ويفعلون خلافَ ذلكَ.

يقول: إنّه حدثَ فعلاً فقد قاموا بتلكَ الأفعال، ولذلك قدّمَ الاسمَ المرفوعَ (أفعالُ) على الفعلِ (نفعلُ)، وجعلَهُ مبتدأَ الكلامِ وأساسَهُ .[55]

ومن ذلك قوله تعالى: **{وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ}** (الأعراف164)، ففي قولِهِ عزَّ وجَلَّ: "قالوا معذرةً إلى ربّكُم"، جازَ الرَّفعُ والنّصبُ في كلمةِ "معذرةً"، "إن أردت: ذلك الذي قُلْنَا معذرةٌ إلى ربّكُم رفعْتَ، وهو الوجهُ ،وإنْ أردْتَ: قلْنَا ما قُلْنَا معذرةً إلى الله؛ فهذا وجهُ نصْبٍ"[56]، "فهم لم يُريدوا أن يعتذِرُوا اعتذاراً مُستأنَفاً من أمرٍ لِيْمُوا عليهِ، ولكنَّهم قيلَ لهُم: لِمَ تَعِظُون؟ فقالوا: معذرتُنا إياهُم مَعْذرةٌ إلى ربّكم، ولو قالَ رجلٌ لرجلٍ: مَعذِرةً إلى اللهِ وإليكُم من كذا وكذا، يريدُ اعتذاراً، لنصبَ ومثلهُ قولُ الشاعرِ: **يَشكو إليَّ جَمَلِي طولَ السُّرى صَبْرٌ جَميلٌ فكِلانا مُبْتَلَى** [57]

والنّصْبُ أجودُ وأكثرُ لأنّهُ يأمُرُهُ بالصَّبرِ، ومثلُهُ في الرّفعِ قولُهُ تعالى: {فصبرٌ جميلٌ}(يوسف 18)، فَنَصْبُ صبرٍ في البيتِ أجْوَدُ؛ لأنَّ الجملَ كان شاكياً طولَ السُّرى فأمرَهُ صاحبُهُ بالصَّبرِ، والذي في الآيةِ إخبارُ يَعْقوبَ عليه السَّلام بصبرٍ حاصلٍ فيهِ".[58]

نخلصُ إلى القولِ: إنَّ هناكَ ترابطاً وثيقاً بينَ التّركيبِ النّحويّ والعلامةِ الإعرابيّةِ، فالسِّماتُ الأسلوبيّةُ للتَّركيبِ النَّحْويّ قد تُبرِزُها العلامةُ الإعرابيّةُ دونَ مخالفةِ الثّوابتِ النَّحْويّةِ، ودونَ أنْ يَطْرَأَ تغييرٌ على مواقعِ الكلماتِ داخلَ البنيةِ .

ب- الأسلوبيّةُ الموقعيَّةُ للكلمةِ في بنية التّركيبِ النَّحْويّ:

لقد أسلَفْنَا القولَ بأنَّ موقعَ المُفردةِ في التّركيبِ يرجِعُ إلى اختيارِ المُبدِعِ لهذهِ الكلمةِ من بينِ مجموعةٍ منَ الاختياراتِ، وأشَرْنَا إلى أنَّ هذا الاختيارَ ليسَ عشوائياً، بل نابعاً من الفاعليّةِ الأسلوبيّةِ التي تحمِلُهَا هذهِ الكلمةُ في أَصْلِ تَكْوِينِها، وقبلَ أنْ تُدرَجَ في تركيبٍ أو سياقٍ، ثُمَّ يأتي المُبدِعُ لِيَنْقُلَها من محورِ الاختيارِ إلى محورِ التّركيبِ، موظِّفاً إيّاها في الموقعِ المُناسبِ للمَقامِ، ولتقومَ بذلكَ علاقةٌ بينَ هذهِ الكلمةِ وغيرِها من الكلماتِ الأُخرى، وهذهِ العلاقةُ هي ما تُحقِّقُ اكتمالَ المَعنَى وتُثرِي بنيةَ التّركيبِ النَّحْوِيّ .

فاختيارُ موقعِ الكلمةِ لهُ أثرُهُ في بيانِ أسلوبيَّةِ التّركيبِ النَّحْوِيّ، سواءٌ أكانَ ذلكَ بتقديمِها أم تأخيرِها، وقد أشارَ سيبويه في كتابِهِ إلى أهميَّةِ موقعِ الكلمةِ في التّعبيرِ عن المعنى بقوله: "فإنْ قدَّمْتَ المفعولَ وأخَّرْتَ الفاعلَ جرى اللَّفْظُ كما جرى في الأوّلِ، وذلكَ قولُكَ: ضَرَبَ زيداً عبدُ اللهِ... وهو عربيٌّ جيّدٌ كثيرٌ، كأنَّهُم يُقدّمُونَ الذي بيانُهُ أهمُّ لَهُم، وهُمْ ببيانِهِ أعْنَى..."[59]، وبذلكَ تُعَدُّ دراسةُ الغايةِ الأسلوبيّةِ لموقعيَّةِ الكلمةِ في التّركيبِ من تقديمٍ وتأخيرٍ من صميمِ البحثِ الأسلوبيّ على مستوى التَّركيبِ، فلكلِّ تركيبٍ ترتيبٌ مُحدَّدٌ مُعتادٌ عليهِ الذِّهْنُ، ويُمكنُ بطريقةٍ من الطُّرقِ مخالفةُ هذا التّرتيبِ، والغايةُ من هذهِ المُخالفةِ هي إبرازُ كلمةٍ من الكلماتِ لتوجيهِ التفاتِ السَّامعِ إليها.[60]

ومُجمَلُ القولِ: إنَّ أيَّ تغييرٍ يُصيبُ مسلكاً أسلوبيّاً محكومٌ بغرضٍ أو غايةٍ ما، فلكلِّ بنيةٍ حالاتٌ تُوجِبُها من التَّغيير أو الثَّباتِ، وقُدرَةُ هذهِ البنيةُ على التَّغيُّر والتَّحوّلِ هو ما يُحقِّقُ غايةَ الأسلوبيّةِ في التّركيبِ النَّحْويّ، وهذا ما

---

[55] يُنظر: الإيضاح في علل النحو: أبو القاسم الزجاجي، تح: د. مازن المبارك، بيروت، ط5، 1986م، ص 136-137، و تجديد النحو: د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط6، 2013م، ص254

[56] معاني القرآن: أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت207هـ)، تح: أحمد يوسف نجاتي، محمد علي النجار، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، 1955م، ص 39

[57] رجز منسوب لــ (ملبد بن حرملة)، يُنظر: شرح كتاب سيبويه: أبو سعيد السيرافي، مصدر سابق، ج2، ص 213.

[58] المصدر السابق نفسه: ص212-213

[59] الكتاب: سيبويه، مصدر سابق، 34/1

[60] يُنظر: اللغة والإبداع الأدبي: د. محمد العبد، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، مصر، 1989م، ص13

أكَّدَهُ الجُرجاني بقوله: "ولا تزالُ ترى شعراً يروقُكَ مَسْمَعُهُ ويَلْطُفُ لديكَ مَوقِعُهُ، ثُمَّ تنظرُ فتجدُ سبَبَ أنْ راقَكَ ولطفَ عندكَ أنْ قُدِّمَ فيهِ شيءٌ وحُوِّلَ اللَّفْظُ عن مكانٍ إلى مكان"[61]، فقد ربطَ الجُرجاني مِيزَةَ الشِّعرِ واستحسانَهُ لدى المُتلقِّي بموقعيّةِ الكلمةِ وحركتِها في التَّركيبِ، ومن ذلكَ قولُ الكُميتِ في مدحِ آلِ البيتِ:

فَإِنَّهُمُ لِلنَّاسِ فِيْما يَنُوْبُهُم غُيُوثٌ حَيَاً يَنْفِي بِهِ المَحْلُ مُمْحِلُ[62]

فترتيبُ التَّركيبِ المُعتادُ هو "إنَّهم غيوثٌ حياً للنّاسِ فيما ينوبهُم"، ولكنَّ الكميتَ لم يلتزمْ هذا التَّرتيبَ، ولَمْ يُخالِفْهُ لغرضٍ نحويٍّ، فَمِنَ الواجبِ التّفريقُ بينَ المُخالفةِ الموقعيّةِ الكائنةِ لغايةٍ نحويّةٍ، والمُخالفةِ الموقعيّةِ التي تحمِلُ غايةً أسلوبيّةً، واختيارُه لموقعِ "غيوثٌ حياً" بتوسُّطِها بين كلمتيّ "ينوبُهم" و "المَحْلُ" هو ما منحَ السِّمَةَ الأسلوبيّةَ لبنيةِ هذا التَّركيبِ، فقد آثَرَ الشّاعرُ أنْ يَقرنَ بين إغاثتِهم للسَّائلِ فيما أصابَهُ من جدبٍ وفقرٍ، ممَّا حقَّقَ تآلفاً وانسجاماً بينَ الكلماتِ في التَّركيبِ، بحيثُ أصبحَتْ بنيةُ هذا التّركيبِ كالأُسرةِ الواحدةِ تأتلِفُ فيما بينَها لتخدمَ المَعْنى، ولتؤكِّدَ قدرةَ الشَّاعرِ على اختيارِ موقعيّةِ كلماتِه بدقَّةٍ، ممَّا يُوصِلُ المَعْنَى إلى النَّفْسِ بأحسن صورةٍ .

ب–أسلوبيّةُ الصّيغةِ الصَّرْفيَّةِ في بنيةِ التّركيبِ النَّحْويّ:

تختلفُ السِّماتُ الأسلوبيَّةُ باختلافِ الصِّيَغِ المُستَخدَمَةِ في بنيةِ التَّركيبِ النَّحويّ، فكلُّ وصفٍ يُحدِثُ أثراً أسلوبيَّاً مُختلِفاً عن غيرِهِ، انطلاقاً من اختلافِها في المَبنى والمَعنى فـ "صفةُ الفاعلِ تدلُّ على وصفِ الفاعلِ بالحدثِ مُنقطِعاً مُتجدِّداً، وصفةُ المفعولِ تدلُّ على وصفِ المفعولِ بالحدثِ كذلكَ على سبيلِ الانقطاعِ والتَّجدُّدِ، وصفةُ المُبالغةِ تدلُّ على وصفِ الفاعلِ بالحدثِ عن طريقِ المُبالغةِ، والصِّفةُ المُشبَّهةُ تدلُّ على وصفِهِ بهِ على سبيلِ الدَّوامِ والثّبوتِ، وصفةُ التَّفضيلِ تدلُّ على وصفِهِ بهِ أيضاً على سبيلِ تفضيلِهِ على غيرِهِ ممَّن يتّصِفُ بالحدثِ على طريقةِ أيٍّ من الصِّفاتِ السّابقةِ"، ممَّا يُشيرُ إلى الخلافِ المعنوي بينَ صفةٍ وأُخرى[63].

وتجدرُ الإشارةُ إلى أنَّ المُشتقَّاتِ تحملُ معنى الحدثِ دونَ التَّقيُّدِ بزمنٍ، ممَّا يسمحُ للحدثِ بالتّحرُّرِ من قيودِ الزّمنِ، وبذلكَ فإنَّ الأثرَ الوظيفيَّ للوصفِ داخلَ بنيةِ التّركيبِ النّحويّ قد يرتبطُ بمسلكٍ أسلوبيٍّ يُعبّرُ عن الجانبِ الفنّي لاختيارِ صيغةٍ مُعيّنةٍ دونَ غيرِها؛ لأنَّ تفضيلَ صيغةٍ على أُخرى يُعَدُّ ملمحاً أسلوبيّاً لبنيةِ التّركيبِ النَّحويّ لكونها تُقدِّمُ نموذجاً لفهمِ حاجاتِ المُتكلِّمِ في التّعبيرِ عن نفسِهِ[64]، ومن ذلكَ قولُ الكُميتِ في وصفِ النّبيّ الكريمِ (ص):[65]

والسَّابِقُ الصَّادِقُ المُوَفَّقُ والـ ـخاتِمُ للأنْبيـاءِ إذ ذَهَبُـوا

والرّاكبُ الطَّالِبُ المُسَخَّرةُ الـ ـرِّيحُ لهُ ناصِرَيْنِ والرُّعُبُ

فاختيارُ الكُميتِ لأسماء الفاعلينَ "السَّابق، الصَّادقُ، الرّاكِبُ، الطَّالبُ" في الأبياتِ السَّابقةِ جاءَ للدَّلالةِ على الحَدثِ وفاعِلِهِ، و"على هذا جاءتْ أسماءُ اللهِ الحُسنَى التي على زِنَةِ اسمِ الفاعلِ من نحوِ المالكِ وهو مُشتَقٌّ من

---

[61] دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، صحح أصله علامتا المعقول والمنقول: الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده والأستاذ محمد محمود التركزي الشنقيطي، ووقف على تصحيح طبعه وعلق حواشيه السي محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط٢، 1987م، ص83

[62] ديوان الكميت، ص609، والحيا: الخِصْب، والمحلُ : القحطُ والجدبُ، وينوبهم: أي ينزلُ بهم من الجدب والقحط والفقر، يعني أنّهم يغيثون الفقيرَ ويعطونَ السائلَ .

[63] اللغة العربية معناها ومبناها: د. تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء، د. ط، ٢٠٠١م، ص 39، ص99

[64] يُنظر: البنيوية وعلم الإشارة: ترنس هوكز، ترجمة: مجيد الماشطة، مراجعة: د. ناصر حلاوي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ط1، 1986م، ص 73-74

[65] ديوان الكميت، ص564، من قال خاتِمُ الأنبياء فهو الذي خُتِمَ بِهِ الأنبياءُ، ومن قالَ خاتَمَ فهو جمالُ الأنبياء، يُقالُ: فلانٌ خاتَمُ قومِهِ، أي: أحْسَنَهُم، والراكب: الذي يجيء يومَ القيامة راكباً، والطالبُ: الشافعُ، والمُسخّرةُ الريح: يعني يوم الأحزاب، والرُّعبُ: الخوفُ.

مَلَكَ يَملِكُ فهو مالك"[66]، كما أنَّ لاختيارِ اسمِ الفاعلِ في هذهِ المواضعِ دلالةً على الزَّمنِ الماضي، وهي تختلفُ عن دلالةِ الفعلِ الماضي، فدلالةُ اسمِ الفاعلِ على الماضي تدلُّ على ثباتِ السَّبقِ أو الصِّدقِ ودوامِهِ، ولذلكَ فالأثرُ الأسلوبيُّ لكلمةِ "السَّابقِ" تختلفُ عن الأثرِ الأسلوبيّ للفعلِ "سَبَقَ" الذي يحملُ دلالةَ ثباتِ وقوعِ السَّبقِ ولا يدلُّ على دوامِهِ، أمّا "السّابقُ والصَّادِقُ" فدلّتْ على ثباتِ السَّبقِ والصِّدقِ ودوامِهِ، وعلى ذلك أسماءُ الفاعلين الأُخرى في هذهِ الأبيات والتي حملَتْ في مضمونِها الحركةَ المُستمرّةَ والمُتجدّدةَ ما بينَ الماضي والحاضرِ والمُستقبلِ.

أضِف إلى ذلكَ دلالةَ اسمِ الفاعلِ على المُبالغةِ في إجادةِ الشَّيءِ من نحوِ قولِهِم: شعرُ شاعرٍ، فـ "شاعرٌ" لا يُقصَدُ بهِ النَّسَبَ إلى شاعريَّتِهِ، وإنّما أرادَ المُبالغةَ في إجادتِهِ الشِّعرَ، وهو مُستغنٍ بنفسِهِ كونَهُ شاعراً دونَ النَّسبِ إلى ذلكَ[67]، ومن ذلكَ رغبةُ الكُميتِ في إظهارِ مكارمِ آلِ البيتِ غير المحدودة حينَ قالَ فيهِم:

والكَاشِفُو المُفظِعِ المُهمّ إذا الْـ ـتفَّ بِتَصْدِيرِ أَهْلِهَا الحَقَبُ[68]

فاستخدامُه لاسمي الفاعلِ "الكاشفو و المُفظِعِ" متتاليين، يُظهرُ عظيمَ مقدرتِهم على كشفِ أفظعِ الأمورِ وأعظمِها في أشدِّ أحوالِها، أمّا اسمُ المفعولِ فقَدْ أجمعَ النُّحاةُ على دلالتِهِ على الحدَثِ والحدوثِ، وعلى من وقعَ عليهِ الفعلُ، إلّا أنَّ استخدامَ المُبدِعِ لهُ في مواضعَ مُحدَّدةٍ قد يُحمِّلُهُ سِمةً أسلوبيّةً غيرَ ما سَبَقَ، ومن ذلك قولُ الكُميتِ في مدحِ آلِ البيتِ: **والسّالِمُونَ المُطهّرُونَ من الـ ـعَيبِ ورأْسُ الرُّؤوسِ لا الذَّنَبُ[69]**

فلَمْ يُرِدْ الكُميتُ من اسمِ المفعولِ "المُطهَّرون" أنْ يُخبرَ بوقوعِ الطّهارةِ عليهم فحسب، بل أرادَ القولَ بأنَّ الطهارةَ كائنةٌ فيهِم منذُ الأزلِ، وهو ما أكّدَهُ مجيء اسمِ المفعولِ مقروناً باسمِ الفاعلِ "السّالمون"، بل وتجاوزَ اسمُ المفعولِ هذا المعنى ليُشيرَ إلى استمرار طهارتِهم في الحاضرِ والمُستقبلِ، فقد أشارَ بعضُ النُّحاةِ إلى أنَّ "صيغةَ اسمِ المفعولِ تساوِي صيغةَ اسمِ الفاعلِ في دلالتِها الزَّمنيَّةِ، فهي تدلُّ على الدَّوامِ إذا اتّصلت بها (أل)"[70]، وهذا الاقترانِ بينَ الصيغتينِ المُختارَتين من قبلِ الشّاعرِ منحَ بنيةَ التّركيبَ النّحويَّ في هذا البيتِ كثافةً أسلوبيّةً أوصَلَتِ المَعْنَى المُرادَ في أحسنِ صورِهِ .

وقَدْ تَرِدُ هذهِ الصِّيَغُ أو غيرُها دونَ أن تَحْمِلَ معَهَا أثراً أسلوبيّاً، إلّا حاجةُ السِّياقِ والمَقامِ التي تقتضِي وجودَها، وهكذا يكونُ للصِّيغَةِ الصَّرفيَّةِ أثرٌ أسلوبيٌّ تبعاً لموقعِها في بنيةِ التّركيبِ النّحويّ تارةً وعلاقتِها بغيرِها تارةً أُخرى، فصيغةُ اللّفظةِ داخلَ تلكَ البنيةِ تختلفُ سماتُها الأسلوبيّةُ مع اختلافِ استعمالاتِها، واختيارُ صيغةٍ ما دونَ غيرِها يُعَدُّ ملمحاً أسلوبيّاً لبنيةِ التَّركيبِ النّحويّ يُشيرُ إلى قَصْدِ المُبدِعِ وغايتِهِ مِن استخدامِها.

ب- أسلوبيَّةُ التّكرار في بنيةِ التَّركيبِ النَّحْويّ:

يلجأ المُبدِعُ إلى التّكرارِ في التَّركيبِ النَّحْويّ رغبةً منهُ في إثراءِ الفاعليَّةِ الأسلوبيَّةِ لبنيةِ هذا التَّركيبِ، فالتَّكرارُ يُعَدُّ من الظواهرِ الأسلوبيَّةِ التي تكشفُ عن الأبعادِ النَّفسيَّةِ والدّلاليَّةِ لفهمِ النّصِّ الأدبيّ، ولسبرِ أغوارِ نفسيَّةِ الشَّاعرِ، ممَّا يُبرزُ المَعنى ويوثِّقُهُ في نفسيَّةِ المُتلقّي .

وللأنماطِ التّكراريّةِ أشكالٌ مُتعدِّدةٌ منها: (تكرارُ الحرفِ، وتكرارُ الفعلِ، وتكرارُ الاسمِ، وتكرارُ الصّيغةِ الصّرفيّةِ، وتكرارُ التّركيبِ) وغيرُها من أشكالِ التّكرار، وما ننشدُهُ هنا ليسَ إبرازَ اللّفظةِ المُكرَّرةِ في البيتِ الشّعريّ، بل

---

[66] يُنظر: اشتقاق أسماء الله: أبو القاسم الزجاجي، تحقيق: د. عبد الحسين المبارك، دار الفكر، دمشق، سوريا، 2009م، ص45

[67] يُنظر: شرح كتاب سيبويه: أبو سعيد السيرافي، مصدر سابق، ج4، ص135

[68] ديوان الكميت، ص 570، والمُفظِع: العظيم، والتّصدير: الحَبْلُ المُؤخَّر، أي: يكشفون الأمر في أشدّ ما يكون .

[69] ديوان الكميت ، ص570، رأس القوم: رئيسهم، مُطهّرون: من المعايب والدّنس .

[70] يُنظر: الدلالة الزمنية في الجملة العربية: علي جابر المنصوري، مطبعة الجامعة، بغداد، العراق، ط1، 1984م، ص85، ويُنظر: الزمن واللغة: مالك يوسف المطلبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986م، ص48

ما تحملُهُ هذهِ اللَّفظةُ من أثرٍ أسلوبيّ وما ينتجُ منهُ من أثرٍ انفعاليّ في نفسِ المُتلقّي، "فكلُّ تكرارٍ يحمِلُ في ثناياه دلالاتٍ نفسيّةً وانفعاليَّةً مُختلفةً تفرِضُها طبيعةُ السِّياق"[71]، فحينَ نقرأُ قولَ الكُميتِ في مدحِ النَّبيّ الكريمِ (ص):

نَفْسِي فداءُ الذي لا الغَدْرُ شِيْمَتُهُ ولا المَعَاذِيْرُ من بُخْلٍ وتَقْلِيـلُ[72]

فإنَّ تكرارَ الكُميتِ لحرفِ النّفي "لا" يُخرِجُ الكلامَ من سياقِ الإخبارِ، فيُخرجُهُ بذلكَ من احتمالِ الصِّدقِ والكذبِ، فهو يُريدُ تنزيهَ النّبيّ(ص) نافياً عنهُ الخِصَالَ السَّيِّئَةَ، ومُثبِتاً لهُ الصِّفاتِ الحَسَنةَ، فالوفاءُ من أخلاقِهِ وليسَ البُخلُ عادةً من عاداتِه، فجاءَ التّكرارُ هنا ليُخرِجَ بنيةَ التّركيبِ النّحويّ مِن دائرةِ الاحتمالِ، ولِيُحقِّقَ في بنيتهِ أثراً أسلوبيّاً يُثيرُ انتباهَ المُتلقّي، وبناءً على ذلك غدا تكرارُ حرفِ النَّفي "لا" في هذا البيتِ مركزَ التّركيبِ وحاملاً للأثرِ الأسلوبيّ الذي أفصحَ عن المَعنى المَقصودِ.

وقَدْ يَدلُّ التَّكرارُ على أهميَّةِ المَمْدوحِ وعلوِّ مَنْزِلَتِهِ وتأكيدِ صفاتِهِ التي يتميَّزُ بها من غيرِه، فالتّكرارُ سِمةٌ أسلوبيّةٌ مَرِنةٌ قابلةٌ لتنوّعِ محمولاتِها الدِّلاليّة، وقد تنبَّهَ الباحثون "لأهميَّةِ التَّكرارِ سواء بالنسبةِ للمُبدِعِ أم المُتلقّي فهو يضعُ بينَ أيدينا مفتاحاً للفكرةِ المُتسلّطةِ على الشَّاعرِ، وهو بذلكَ أحدُ الأضواءِ اللّاشعوريّةِ التي يُسلِّطُها الشِّعرُ على أعماقِ الشّاعرِ، فيُضِيْئُها بحيثُ نَطَّلِعُ عليها"[73]، ومن ذلكَ قولُ الكُميتِ في وصفِ الإمامِ عَليٍّ كرّمَ اللهُ وجهَهُ:

هوَ الإمامُ إمامُ الحَقِّ نَعْرِفُهُ لا كاللّذينِ اسْتَزَلَّانا بِما ائْتَمَرَا[74]

اتَّكأَ الشَّاعرُ في إبراز أهميّةِ ممدوحِهِ على تكرارِ كلمةِ "إمام"، فتكرارُ كلمةِ الإمامِ تفخيمٌ لهُ في القلوبِ والأسماعِ، وقد تكوّنَ التّركيبُ الاسميُّ (هو الإمامُ) من المُسنَدِ إليه المعرفة "هو" والمُسنَدِ المعرفةِ "الإمام"، وقد اختارَ الشَّاعرُ طرفيّ الإسنادِ في هذا البيتِ بدقَّةٍ، فاختيارُ المُسندِ إليهِ ضميراً يحملُ دلالةً واضحةً على أنَّ الاسمَ المُضمَرَ معلومٌ للسَّامعِ، وفي هذا تعظيمٌ للمذكورِ، وزيادةً في تعظيمِ الممدوحِ أتى بالمُسندِ المُعرَّفِ بـ"ال" التي للاستغراقِ أو الشُّمولِ، فهو الإمامُ الأوحدُ لا غيرُه، فكأنَّه لا إمامَ غيرَهُ لاشتمالِهِ على كُلِّ شروطِ الإمامةِ، وهُنا يأتي دورُ التّكرارِ ليؤكِّدَ هذا الأمرَ بتكرارِهِ لكلمةِ "إمامٍ" وإضافتِها لكلمةِ الحقِّ، ممّا منحَ بنيةَ التّركيبِ اكتمالاً في المعنى، وأبرزَ الأثرَ الأسلوبيّ الذي بُنيَ في هذا التَّركيبِ على التّكرار.

ونخلصُ من هذا المَبْحثِ إلى القولِ: إنَّ دراسةَ أسلوبيّةِ التّركيبِ النَّحْويّ لم تخرُج في مُجملِها عمَّا بحثَهُ نُحاتُنا في مباحثِهِم النّحويّةِ منذُ وضعَ سيبويه كتابَهُ إلى اليوم، فالنَّحْوُ ليسَ إلّا دراسةً لأشكالِ التّركيبِ وأساليبِ تأليفِه، وأثرَ هذهِ الأساليبِ في تحديدِ خصائصِ هذا التّركيبِ، وتعدُّدُ هذهِ الأساليبِ وتنوّعُها يمنحُ التَّركيبَ خصيصتَهُ الإبداعيَّة وسِمَتَهُ الأسلوبيّةَ، ويجعلُ بنيته نقطةً محوريةً تُميّزُهُ من غيرِهِ من التّراكيبِ، وتُحقِّقُ فاعليّتَهُ الأسلوبيّةَ، كما أنَّ دراسةَ أسلوبيّةِ التّركيبِ النَّحويّ قد تتعلّقُ ببنيتِهِ المكوَّنةِ من علاقاتٍ قائمةٍ بين عناصرِهِ المُختلفة، وقد تتعلَّقُ بالأثرِ الأسلوبيّ لكلِّ عُنصرٍ من عناصرِهِ مُستقلّاً عن غيرِهِ من العناصرِ، وذلكَ من حيثُ صيغتُهِ أو علامتُهِ الإعرابيّةِ أو موقعيَّتُهِ أو تكرارُهُ .

---

[71] الصورة الشعرية في الكتابة الفنية: صبحي البستاني، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1986م، ص47

[72] ديوان الكميت، ص626، والشّيمةُ: الخُلقُ، وجمعها: شيمٌ، يقول: لا يعتذرُ من البُخْلِ ولا هو من عاداته.

[73] قضايا الشعر المعاصر: نازك الملائكة، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط6، 1981م، ص 266

[74] ديوان الكميت، ص 628

خاتمة ونتائج:

يُمكننا القولُ إنَّ البنيةَ الأسلوبيّةَ للتَّركيبِ النَّحويّ قد تكتسبُ قيمتَها الأسلوبيّة بطرقٍ مُتعدّدة، وسلوكُ إحدى هذهِ الطُّرقِ مهمَّةٌ تقعُ على عاتقِ المُبدِعِ الذي ينبرِي لاختيار الشَّكلِ التَّركيبيّ من بينِ الإمكانيّاتِ التي تُنتِجُها اللّغةُ، حتّى يُمكنُ للمتلقّي تذوّق الخصائصِ الأسلوبيّةِ الناتجةِ من بنياتِ التّراكيبِ، ومن خلال ما تبيّن في هذهِ الدّراسة يمكن بلورة جملةٍ من النتائج الواضحة المعالم:

1- ثمّة علاقة وثيقة بين بنيةِ التركيبِ النّحوي وما يدورُ في نفسِ المُبدِع، فدراسة التّركيب تنطلق من تلك العلاقة القائمة بين الاختيار الذهني والألفاظ التي تظهر على سطح التركيب .

2- إنَّ استخدامَ الكُميتِ للتركيبِ بشكلٍ عامٍ، وللتركيبِ الاسميّ بشكلٍ خاصّ جاءَ في ديوانِه لخدمةِ أَغراضٍ مُتعدِّدةٍ كانَ أَبرزَها الاحتجاجُ لآلِ البيتِ، فقد وردَت تراكيبُه الاسميَّةُ في الدِّيوانِ مُتناسبةً مع السِّياقِ الذي وردَتْ فيهِ، ومن ذلكَ فإنَّ التنوَّعَ الذي وردَ في أنماطِ هذا التَّركيبِ ما بينَ تعريفٍ وتنكيرٍ لرُكنيه أنتجَ تفاوتاً في المَعنى، ومنحَ كُلَّ بنيةٍ من هذهِ البنى قيمةً أُسلوبيَّةً مُختلفةً عن غيرِها .

3- إنّ نحاتنا العرب قد أشاروا إلى العلاقات التي تربط بين عناصر التركيب النحوي، وأدركوا كذلك العلاقةَ بين بنيةِ التركيب وسياق الموقف والمقام، وما ينتجُ من تلك العلاقة من تأثيرٍ في بنية هذا التركيبِ .

4- ثمّة علاقة وثيقة بين البنية والأسلوبية، فالبنية تمثّلُ شكلَ اللغة وعلاقاتِ تراكيبِها، والأسلوبيّةُ تدرسُ هذا الشّكلَ وتحلّلُ تلك العلاقات القائمة بين عناصر التركيب النحوي.

5- إنّ استخدام الشاعر لتراكيبَ بعينِها دون غيرِها لم يكُن قائماً على اختيارٍ عشوائي، بل على مجموعة علاقاتٍ مترابطةٍ بين وحداتٍ تركيبيّةٍ يمثّلُ اختيارُ كلّ واحدةٍ منها سمةً أسلوبيّةً.

6- إنّ الطّرائقَ المُتعدّدة التي اختارها الكُميتُ في بناءِ تراكيبِه هو ما منحَ تلك التراكيب فاعليةً أسلوبيّةً، ويمكنُ أن يُوصفَ بناءُ تراكيبِهِ بالإبداع؛ بسببِ خضوعها لمعياريّة اللّغة وثوابتها، وانطلاقاً من ذلك تقومُ دراسة البنية الأسلوبيّة للتركيب النحوي في أساسِها على البحث عن موافقة تلك التراكيب أو مخالفتها لهذه الثّوابت.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم

1- *أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث من خلالِ بعضِ نماذجِهِ* : د. توفيق الزيدي، الدار العربية للكتاب، بيروت، لبنان، 1984م .

2- *الأسلوبية والأسلوب*: عبد السلام المسدّي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، ١٩٧٧م .

3- *الأسلوبية في النقد العربي الحديث (دراسة في تحليل الخطاب)*: فرحان بدري كاظم علي، أطروحة دكتوراه، كلية التربية (ابن رشد)، جامعة بغداد، العراق، 2001م

4- *الأسلوبيّة مدخل نظريّ ودراسة تطبيقية*: فتح الله أحمد سليمان، مكتبة الآداب، القاهرة، 2004م .

5- *الأسلوبية في دراسات الإعجاز القرآني حتى القرن السادس الهجري*: عواطف كنوش مصطفى التميمي، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة البصرة، العراق، 1995م .

6- *الأسلوب دراسة لغوية إحصائية*: د. سعد عبد العزيز مصلوح، عالم الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط3، 1992م.

7- *الأسلوب والأسلوبية*: بيير جيرو، ترجمة: منذر العياشي، مركز الإنماء القومي، لبنان ، 1985م.

8- *اشتقاق أسماء الله*: أبو القاسم الزجاجي، تحقيق: د. عبد الحسين المبارك، دار الفكر، دمشق، سوريا، 2009م.

9- *الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية:* ميشال زكريا، لبنان، ط2، 1986م .

10- *الإيضاح في علل النحو*: أبو القاسم الزجاجي، تح: د. مازن المبارك، بيروت، ط5، 1986م.

11- *البحث النحوي عند الأصوليين*: د. مصطفى جمال الدين، وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1980م.

12- *البلاغة العربية – قراءة أخرى*: د. محمد عبد المطلب، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، دار نوبار للطباعة، القاهرة، ط1، 1997م .

13- *البلاغة والأسلوبية*: محمد عبد المطلب، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر والتوزيع، لونجمان، ط1، 1994م

14- *البنية العميقة ومكانتها لدى النحاة العرب*: عبد الله أحمد جاد الكريم حسن، الألوكة، د.ب ، د.ط .

15- *البنيوية وعلم الإشارة*: ترنس هوكز، ترجمة: مجيد الماشطة، مراجعة: د. ناصر حلاوي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ط1، 1986م .

16- *تجديد النحو*: د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط6، 2013م.

17- *الجملة العربية والمعنى*: د. فاضل صالح السامرائي، دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2000م.

18- *الخصائص*: ابن جنّي، أبو الفتح عثمان بن جنّي، تحقيق: محمد علي النجار، دار الهدى، بيروت، ط2، ج1، 1955م.

19- *الدلالة الزمنية في الجملة العربية:* علي جابر المنصوري، مطبعة الجامعة، بغداد، العراق، ط1، 1984م.

20- *دلائل الإعجاز في علم المعاني*: عبد القاهر الجرجانيّ، صحح أصله علامتا المعقول والمنقول: الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده والأستاذ محمد محمود التركزي الشنقيطي، ووقف على تصحيح طبعه وعلق حواشيه السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط٢، 1987م

21- *دليل الدراسات الأسلوبية*: د. جوزيف ميشال شريم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1984م.

22- *ديوان الكميت*: جمع وشرح وتحقيق: د .محمد نبيل طريفي، بيروت، دار صادر، ط١، ٢٠٠٠م .

23- *الزمن واللغة*: مالك يوسف المطلبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986م .

24- *الشعر والشعراء*: ابن قتيبة (أبو محمد بن عبد الله بن مسلم)، تحقيق: د. مفيد قمحة، دار الكتب العلميّة، ط٢، ١٩٨٥م.

25- *شرح كتاب الحدود في النحو*: عبد الله بن أحمد الفاكهي (ت972هـ)، تحقيق: د. المتولي رمضان، مكتبة وهبة، ط2، القاهرة، مصر، 1993م .

26- *شرح كتاب سيبويه:* أبو سعيد السيرافي، الحسن بن عبد الله بن المرزبان، تح: أحمد حسن مهدلي، علي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٨م، ج١ .

27- *شرح المفصّل*: ابن يعيش، موفق الدين يعيش ابن علي بن يعيش، عالم الكتب، بيروت، د . ت، د. ط، ج1.

28- *شرح الكافية في النحو*: الاستراباذي، رضي الدين محمد بن الحسن، دار الكتاب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م، ج1 .

29- *الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية* : الجواهري ، اسماعيل بن حماد ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٧٩.

30- *الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني – منهاجاً وتطبيقاً* : د. أحمد علي دهمان، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، سوريا، ط1، 1986م.

31- *الصورة الشعرية في الكتابة الفنية: صبحي البستاني*، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1986م.

32- علم الأسلوب مفاهيم وتطبيقات: محمد كريم الكواز، منشورات جامعة السابع من إبريل، ط1، بنغازي، ليبيا، 2005م.

33- *في البلاغة العربية _ علم المعاني*: محمود أحمد نحلة، دار العلوم العربية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٠م .

34- *في قواعد العربية*: أحمد علم الدين الجندي، مكتبة الشباب، القاهرة، القاهرة، مصر، 1981م .

35- *في التشخيص الأسلوبي الإحصائي للاستعارة بتطبيق على أشعار البارودي وشوقي والشابي*: د. سعد مصلوح، مجلة الفكر، العدد30، نوفمبر، 1984م .

36- *قضايا الشعر المعاصر*: نازك الملائكة، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط6، 1981م .

37- *قطر الندى وبلّ الصّدى*: ابن هشام الأنصاري، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط11، مطبعة السعادة، 1963م .

38- *قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم* : سناء حميد البياتي، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط١، ٢٠٠٣م.

39- *الكتاب: سيبويه، تحقيق وشرح*: عبد السلام محمد هارون، ج١، ط٦، عالم الكتب، بيروت، ١٩٦٦م .

40- *اللسانيات التوليدية من نظرية العمل والربط إلى البرنامج الأدنوي*: محمد الملاح و حافظ اسماعيلي علوي، دار كنوز للمعرفة للنشر والتوزيع، عمان ، الأردن ، ط1 ، 2016

41- *اللسانيات نشأة وتطور: أحمد* مومن، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، 2005م .

42- *اللغة والإبداع الأدبي*: د. محمد العبد، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، مصر، 1989م.

43- *اللغة العربية معناها ومبناها* : د. تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء، د. ط، ٢٠٠١م

44- *اللغة والمعنى والسياق*: جون ليونز، ترجمة: عباس صادق الوهاب، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، 1987م .

45- *اللمع في العربية:* ابن جني، أبو الفتح بن عثمان، تح: حسين محمد شرف، ط1، القاهرة، مصر، 1978م.

46- *مدخل لفهمِ اللّسانيات إبيستمولوجيا أولية لمجال علمي*: روبير مارتن، ترجمة: د. عبد القادر المهيري، مراجعة: د. الطيب البكوش، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2007م .

47- *معجم لغة النحو العربي* : أنطوان الدحداح ، بيروت ، مكتبة لبنان ، ناشرون ، ط٣ ، ٢٠٠١ .

48- *مقالات في اللغة والأدب*: د. تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط١،ج2، ٢٠٠٦م.

49- *مقالات في اللغة والأدب*: د. تمام حسان، معهد اللغة العربية بجامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1985م .

50- *منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث*: علي زوين ،دار الشؤون الثقافية العامة ، ط1، بغداد ، 1986م .

51- *منزلة المعنى في نظرية النحو العربي*: لطيفة النجار، رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن، 1995م.

52- *النحو العربي والدرس الحديث*، بحث في المنهج: د. عبده الراجحي، دار النهضة للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، 1986م .

53- *النحو والدلالة "مدخل لدراسة المعنى النحوي – الدلالي"*، محمد حماسة عبد اللطيف، دار الشروق، القاهرة، مصر، 2000م.

54- *النظرية اللغوية العربية الحديثة*: د. جعفر دك الباب، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، مطبعة اتحاد الكتّاب العربي، دمشق، سوريا، 1996م

55- *نظرية تشومسكي اللغوية*: جون ليونز، ترجمة وتعليق: د. حلمي خليل، ط1، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر، 1985م .

56- *نظريات تشومسكي اللسانية*: شيخ يعقوب أديجي ، بحث مقدم لمقرر اللسانيات الحديثة، قسم اللغويات كلية اللغة العربية الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، 2019م .

57- *النقد والحداثة*: عبد السلام المسدّي، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، بيروت، لبنان، 1983م.

58- *همع الهوامع في شرح جمع الجوامع*: جلال الدين السيوطي، تح: عبد المتعال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، ط1، الكويت، 1980م.